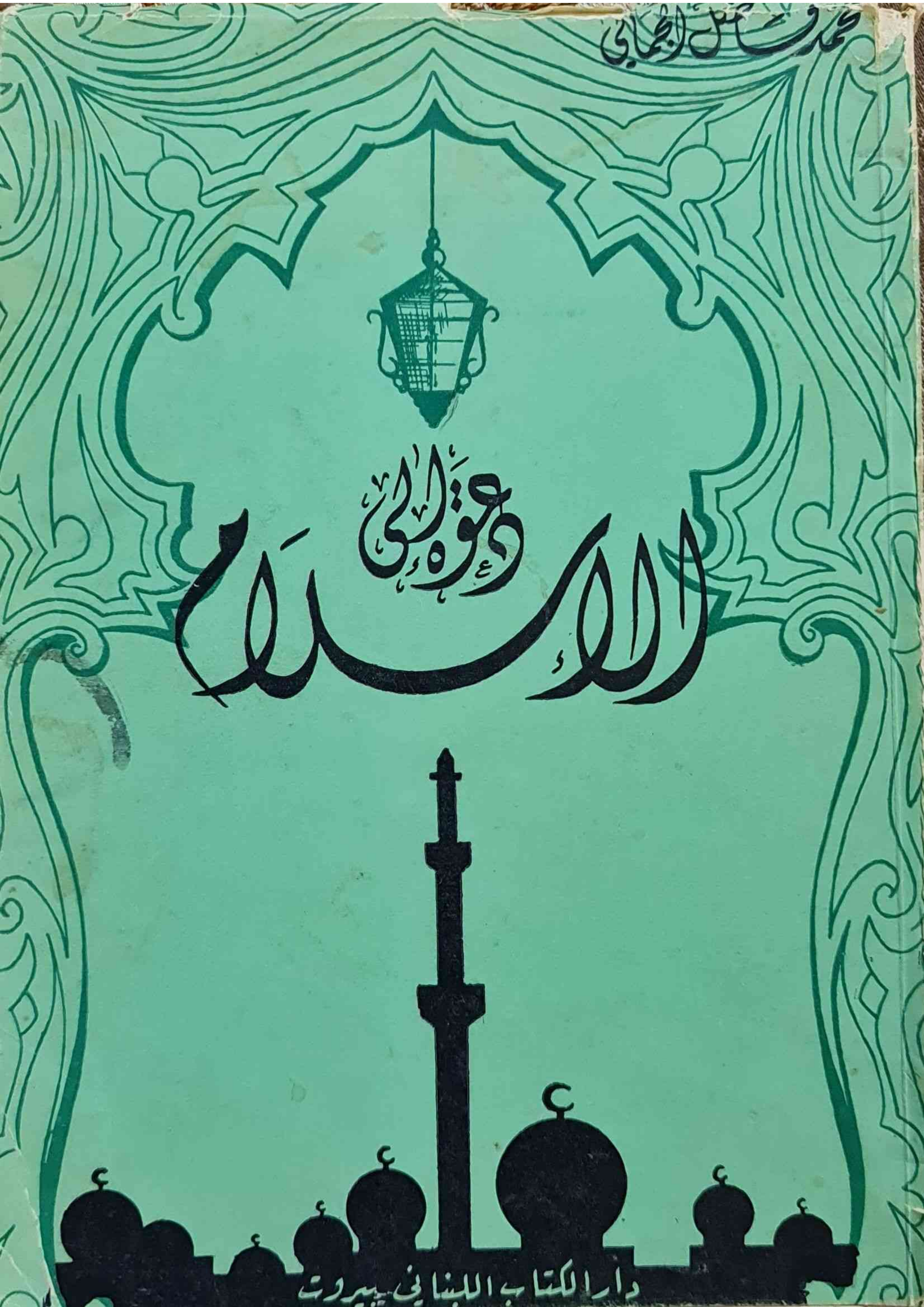

محمد فاضل الجمالي
دعوة إلى الإسلام
دار الكتاب اللبناني بيروت

دعوة الى الاسلام

محمد فاضل الجمالي

دعوة إلى الإسلام

رسائل من والد في السجن إلى ولده

منشورات
دار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر

الطبعة الأولى – بيروت ١٩٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

حين قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق كنت أحد الذين القي القبض عليهم وحوكموا في المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي ترأسها العقيد فاضل عبـــاس المهداوي . وقد حكم عليّ بالاعدام وبخمسة وخمسين سنة من السجن وبغرامة تزيد على المائة الف دينار . وقد بقيت نحو سنة ونصف تحت حكم الإعـــدام انتظر التنفيذ أو الفرج . وقد بلغني ان الحاح الشيوعيين على اعدامي كان قوياً ، وسمعت من جهة اخرى ان عدداً غير قليل من الشخصيات العالمية المحترمة ، ساهمت في التوسط لدى رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم بتبديل حكم الاعدام . وقد شاءت ارادة الله تعالى ان ابقى حياً ولا أشنق . وهانا أشعر ، وقـــد نجوت من الموت وعدت إلى الحياة حراً طليقاً ، كأني سافرت الى عالم آخر ، ثم عدت الى عالم الاحياء من جديد . لذلك أرى من واجبي أن أخبر إخواني الأحياء من بني الانسان بما شعرت به وأنا قريب من المشنقة خلال سنة ونصف :

لا شك في ان رهبة الموت تخالج كل انسان يتعرض للهلاك فالانسان ككل كائن حيّ يسعى بفطرته للبقاء . ولكني إلى جانب رهبة الموت كنت أشعر براحة وطمأنينة نفسية متأتية من العوامل التالية :

١) إيمان عميق (وقد ازداد عمقـــاً بعد ثورة ١٩٥٨) بالله تعالى وبأن ارادته هي فوق كل شيء . وليس لبشر أو جماعة من الناس ان يغيروا ما كتبه الله . فإذا كان أجلي قد حان فلا بـد من الموت . ثم شعرت بأن نعمة الايمان والطمأنينة الروحية التي ترافقه هي أثمن كنز في هذه الحياة . فمسكين الفرد المحروم من نعمة الايمان ، فانه ليس أكثر من فرد مفلس تجرد من أكبر نعمة تسمو بها الانسانية . فالإيمان يكسب الانسان الشعور بالخـلود الروحي فلا يهاب الموت ولا يكترث بالتوافه من الأمور .

٢) شعرت بان راحة الضمير هي النعمة الثانية في هذهالحياة بعد الإيمان . فمن كان مؤمناً ويعمل الخير بدافع حب الخير لا يرهب الموتوهو سعيد في الدنيا والآخرة. وكلما فحصت نفسي وتمعنت في فحصها كنت أشعر بأني مرتاح الضمير فإني لم أسيء لأحد عن قصد ولم أقصر جهد المستطاع في عمل الخير عن قصد. فقد كرست حياتي في خدمة أمتي وبلادي وفي خدمة الانسانية جمعاء وذلك بقدر ما تسمح لي ظروفي وبمقتضى اجتهادي . ولا أدعي بان اجتهادي كان صحيحاً دائماً فالعصمة لله وحده. ولكن كل ما قمت به كان عن قناعة وجدانية . فراحة الضمير النابع من

الإيمان بالله هى الكنز الثاني الذي يجب أن يتوخاه كل انسان يريد السعادة والطمأنينة في هذه الحياة والتي بعدها .

٣) إن العطف واللطف الذي شملني به الأصدقاءاو المعاريف من كل أنحاء العالم، جعلني أشعر بأن حكم المهداوي ليس أكثر من حكم ثوري جارف لا يستند إلى حق أو منطق سليم . وما ضرني ان اشنق ظلماً وعدواناً (كما شنق أو أعدم رمياً بالرصاص غيري من الشهداء) ما دام عدد لا بأس به من اشراف الناس في العالم يقدرون اخلاصي ونزاهتي . وفي الحقيقة ان مؤاساة الأخوان والاصدقاء في العراق وفي العالم العربي، بل وفي العالم أجمع كانت أكبر تسلية لي في الساعات الحالكة التي مرت بي في السجن . فتكوين الاصدقاء الاوفياء هو نعمة ثالثة يجب أن يسعى إليها من يريد السعادة في الحياة .

الايمان بالله ، راحة الضمير ، كسب الاصدقاء الأوفياء: هي نعم ثلاث تعطي الحياة معنى وقيمة وتهب الانسان راحة وطمأنينة في أوقات المصائب والمحن . وهذه النعم الثلاث تكون الرسالة التي احملها من جوار المشنقة إلى طلاب الحياة الحرة السعيدة ، الحياة التي لا تنتهي بالموت الجسدي بل تتجدد بعده !

وبعد ان اقتنعت بحقيقة هذه الرسالة وأصبح جوهرها جزءاً من نفسي نظرت الى واقعنا في الماضي القريب والحاضر الذي نعيشه فتوصل فكري إلى أمور ثلاثة :

١) إن عالمنا الذي نعيش فيه، ولا سيما عالمنا العربي أخذ يبتعد يوماً بعد يوم عن الإيمان بالله وعن ما يرافق هذا الايمان من توحيد ومحبة واخوة ورحمة .

ان التيارات الغريبة التي اخذت تسري بين ظهرانينا، والتي تمثلت في جرائم الموصل وكركوك، وفي حوادث السحل في سائر انحاء العراق ؛ وإن الصراع الدموي بين الاحزاب ، والاستهتار بحياة الانسان كلها تنبع من تربة لم تسق بماء الايمان ولا بروح الاخوة والمحبة والرحمة بين بني البشر.

ان من ينعم النظر في الصراع القائم بين الفئات المختلفة في العالم العربي اليوم يعتريه الذهول مما يشاهده من انانية وغرور وبعد عن الحقيقة وعدم التواضع امامها ومن فقدان لروح التوحيد والإخاء والمحبة والرحمة التي يدعو إليها الدين والتي تشكل الاساس الضروري للحياة الديمقراطية الحرّة .

ان تفكيري الديني يتلخص: في ان المجتمع لا يستقر ما لم نتعلم ان نعيش معاً ، على اساس الاخوة والتعاون النزيه ، مهما اختلفت عقائدنا السياسية . فالحياة التي يتطلبها العصر الحديث والتي تماشي طبيعة نمو العلوم والمخترعات هي الحياة الديمقراطية التي تؤمن بكرامة الانسان الفرد وبحقه في ان يعيش حرّاً سعيداً في مجتمع متعاون .

ولكن الديمقراطية تصبح مهزلة من المهازل، ما لم تؤسس على الاخلاق الفاضلة وعلى الروح الرياضية وعلى التسامح وعلى الاخوة والمحبة والرحمة . فالكل يجب أن يعيشوا معاً في سلام وان يشاركوا في تحمل اعباء المسؤولية . الاكثرية لا تضطهد الأقلية ولا تهضم حقوقها . والأقلية لا تغدر بالأكثرية ولا تضمر لها الدسائس . كل رأي محترم ما دام صادراً عن قناعة واخلاص . فلا ديكتاتورية فردية او حزبية !

هذا النظام هو الذي يضمن كرامة الانسان وحرية الانسان وهو الذي جاهدت الشعوب لبلوغه ، حين كافحت للتخلص من الاستعمار الاجنبي . فلم تكافح الشعوب الاستعمار الاجنبي وتتخلص منه ، لتقع في وسط عاصفة هوجاء محرقة ، تحرق الاخضر واليابس وتخلق الفوضى والبغضاء بين ابناء البلد الواحد .

أن مشكلتنا هي مشكلة اخلاقيه قبل كل شيء ؛ فلو توفرت الاخلاق الانسانية ، لما احتجنا إلى حرب طبقات ولما تفشت بيننا الانانية والغرور والبغضاء والفساد . والاخلاق لا تزدهر ولا تكون رصينة موثرة في الحياة الاجتماعية ما لم تستقي من ماء الإيمان ، الايمان بالله خالق الكون وواهب النعم . فالايمان المؤسس على المحبة والاخوة والرحمة هو الذي يعطي الاخلاق قوتها الدافعة وهو الذي يوقظ في النفوس مخافة الله ومحبة الله ! فالغني المؤمن

يدرك أنه لا يملك ثروته لنفسه، فثروته هي من الله ويجب أن تفيد عباد الله. والفقير المؤمن يجب أن ينال حقه في الحياة كاملاً غير منقوص لأنه عبد من عبيد الله! إن الانانية والفساد والغرور والطغيان، كلها أمراض اخلاقية منشوءهـا ضعف الإيمان بالله وفقدان مخافة الله! فإذا شئنا الحياة السعيدة الهانئة المطمئنة إذن علينا :

أ) ان نأخذ بالأسلوب الديمقراطي الصحيح الشامل لكل نواحي حياتنا .

ب) ولأجل ضمان نجاح الاسلوب الديمقراطي لا بد من اخلاق فردية واجتماعية تبنى على النزاهة والمحبـة وطهارة النفس والغيرية بين الناس .

ج) ولأجل غرس هذه الاخلاق لا بـد من الإيمان بالله خالق الكون ومسيره والعمل بمقتضى سننه الكونية وأوامره ونواهيه .

فلنرجع اولاً وآخراً إلى الله وإلى الايمان به ايماناً صادقـاً مطلقاً !

٢) ربما كان اكبر تقصير في حياتنا السياسية والاجتماعية ماضيها وحاضرها هو تقصيرنا في ممارسة الحياة الديمقراطية الحقة وتقصيرنا في بناء الأخلاق التي تقوم عليها الديمقراطية وفي غرس

الروح الديني الذي يضمن روح الوحدة والمحبة والاخوة والرحمة بين الناس . والذي يعطي الاخلاق معناها ويكسبها فعاليـــة وتأثيراً . نظرة بسيطة الى معاهدنا التعليمية تكفي لتقنعنا بأن مدارسنا في الغالب تعني بتحفيظ الطلاب الحقائق العلمية، وتعني بتعليمهم الدساتير والنظريات، وقد تعني بالحياة الجسدية الى حد ما ولكنها قلما تعنى بالحياة الروحية وبالاخلاق السامية وبالايمان بالله ! ولذلك نشأ لدينا شباب يحملون شهادة الدكتوراه مثلا ولا يعرفون عن دينهم شيئاً كافيـــاً، وهم ليسوا اكثر من ابواق تحمل لنا اصواتاً مصدرها بعيد عنا وعن ثقافتنا وعن روحيتنا

من المسؤول عن ذلك ؟ كلنا مسؤولون عن ذلك: رجـــال السياسة، رجال الدين، رجال التعليم، رجال الحرف والمهن، كلنا مسؤولون عن التراخي الاخلاقي وعن ذبول الحياة الدينية .

لقد شعرت قبل ثورة تموز ١٩٥٨ بحاجتنا الى تدعيم الروح الديمقراطي وإلى تقويم البناء الاخلاقي على اساس التربية الدينية الصحيحة ، وساهمت في تأسيس « جمعية التربية الدينية » إلا ان ظروفي الخاصة والعامة لم تسمح لي بالعمل في هذا المضمار، كما ان صرخاتي تحت قبة البرلمان بالدعوة إلى ضرورة العناية بالتربيـــة الاخلاقية والدينية لم تلق صدًى بعيداً، ذلك لان المسألة تتطلب اكثر من دعوة فردية . المسألة تتطلب اهتمام الآباء والامهـــات تطلب اهتمام رجال التعليم ورجال الدين ورجال الحكم . تتطلب

اهتمام اصحاب المصالح والعمال والفلاحين . فالجميع يجب ان يساهموا في نشر الفضائل الاخلاقية وغرس روح الامانة والايثار والمحبة والطهارة بين الناس، تلك الفضائل المنبعثة من الايمان بالله تعالى .

٣) شعرت وأنا واحد من الآباء بأني مقصر كثيراً في تربية ابنائي تربية دينية وافية . ذلك لأن المدارس التي درسوا فيها لم تزودهم بالتعليم الديني الكافي . ولذلك شعرت وأنا في السجن بأن الواجب يحتم علي ان اعوض ولو بعض التعويض عن التقصير . فبدأت بتحرير رسائل عن الاسلام لولدي عباس الطالب في الجامعة الاميركية في بيروت . وها هي أربع وعشرون رسالة في الاسلام حررتها إليه . ثم اضفت اليها ملاحق ثلاثة : اولها رسالة مختصرة لولدي اسامة عن الحرية والمسؤولية في الإسلام وثانيها مذكرة كتبتها لشاب عزيز عليّ أبين له فيها رأيي في علاقة الدين بالدولة وخطل اللادينية والعلمانية . وثالثها خطاب ألقيته في جمعية الشبان المسلمين في بغداد في عيد المولد النبوي الشريف قبل ثلاثين عاما . وكل هذه الرسائل والملاحق تكون وحدة منسجمة ؛ هي أهمية الاسلام في عالم اليوم وضرورة التمسك باهداب الدين اذا شئنا الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة .

هذا ولا بد لي في الختام من شكر الأخ العزيز اللواء الركن عمر علي (زميلي في غرفة السجن الذي استمع الى هذه الرسائل

كلها وشجعني على المضي فيها، بل وعلى نشرها). كما أشكر زميلي في السجن الاستاذ السيد توفيق السويدي لاستماعه الى بعض الرسائل الاولى وتشجيعي على نشرها. وأشكر جاري في السجن الاستاذ الحاج رشيد عالي الكيلاني الذي استمع الى بعض الرسائل الاخيرة وأبدى ملاحظات قيمة أخذت بها. وأخيراً وليس آخراً أشكر كل الجنود والعرفاء والضباط الذين تكرموا بحمل هذه الرسائل وبالسماح بمرورها من السجن.

« والحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ».

محمد فاضل الجمالي

تونس في ١٠ حزيران ١٩٦٣

★

بغداد في ٣ شباط سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد إهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية ، استلمت كتابك المؤرخ ٢١ كانون الثاني فأعجبتني فيه صراحتك وبساطة تعبيرك . إنك محق في قولك إن شباب اليوم اكثرهم لا يفكرون تفكيراً دينياً . انا اعلم ذلك ، ولكني أعلله بطغيان الحياة المادّية وانتشار الطمع والأنانية والكسل الفكري من جهة ، ومن الجهة الأخرى بجمود الحياة الدينية وتأخرها وجمود معلمي الدين ورجعية الكثيرين منهم ، وغرور بعض رجال العلوم الطبيعية وادعائهم أموراً هي خارج نطاق بحثهم وصلاحيتهم . والحقيقة التي أضعها امامك كما أراها أنا هي :

١) أن الانسان السعيد الكامل لا بد له من دين ومن نظرة كونية ايجابية .

٢) إن الايمان بالله يتوصل إليه الانسان إما من طريق العقل أو العاطفة أو الإلهام أو بها جميعاً .

٣) إن درجة الايمان وقوته تختلف باختلاف الافراد ، فمن هداه الله الى الايمـان الصحيح يجد ان الايمان بالله هو اسمى غاية في الوجود وأنه لا يتضارب مع العقل ولا مع العلم ولا الفن الجميل ولا السعادة البشرية.

٤) إذا كان في العالم اليوم آثار من الانسانية والرحمة وحب الخير فهي من أصل ديني ، فالدين هو المنبع الذي يسقي شجرة الفضيلة والخـير والحق ، وبضعف الدين سوف تذبل هذه الشجرة ، وقد تموت لا سمح الله .

٥) أنا اعتقد أن كل فرد يفكر في سعادة نفسه وأمته ، يجب أن يفكر على قدر استطاعته تفكيراً روحياً. وليس من الضروري ان يتمسك بالقشور باسم الدين، بل يجب أن يبحث عن اللباب ، فاللباب هو الذي يغذي روح الانسان وعقله وعاطفته. وكل من يدعي بالتناقض بين الدين الصحيح والعلم الصحيح فهو اما مخطىء أو جاهل .

٦) إني أجد في روح الاسلام ولبّه الخير العميم والسعادة الأزلية لشخصي ولأمتي وللانسانية جمعاء .

هذه بعض آرائي البسيطة ابديها لك لتفكر فيها وتفحصها بدون استعجال . أما ابيقور فقد سبق أن كتبت لك رأيي فيه. وإني اعتقد ان التفكير الفلسفي قد تقدم كثيراً عن ايام أبيقور. ولا شك في ان من آراء أبيقور ما هو جدير بالتقدير والقبول اذا فهمت على حقيقتها .

سلامي لمن يسألك عني من الاساتذة والاصدقاء وعمك أبو بكر يسلم عليك .

واسلم لأبيك

فاضل

بداية سورة التغابن الكريمة :

بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم : يُسَبِّحُ لِلهِ مَا في السَّمٰوات وما في الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وهُوَ على كلّ شيءٍ قَديرٌ ★ هُوَ الَّذِي خلَقكم فمنكم كافِرٌ ومِنْكُمْ مُؤمِنٌ واللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ ★ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ بِالحقِّ وصَوَّرَكم فأحسَنَ صُوَرَكم وإليهِ المَصيرُ يَعْلَمُ ما في السَّمٰوات والأَرضِ ويَعْلمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعْلِنونَ وَاللهُ عَليم بِذاتِ الصُّدور .

بغداد في ١٠ شباط سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . اشكرك على كتابك المؤرخ ٢٥ كانون ثاني الذي تخبرني فيه عن امتحان الكيمياء والرياضيات وأنك تستعين بتلاوة القرآن الكريم وتتوكل على الله . كل هذه اخبار سارّة أما تعليقي على كتابك فهو كما يلي باختصار تامّ :

١) إن رأيي هو ان الحياة كلها امتحان وأن الله خلق الانسان ليمتحنه في هذه الدنيا . فكل واحد منا يجتاز في حياته كل ساعة وكل يوم امتحاناً عن كل عمل يقوم به ، فعلينا ان نسعى ونحسن العمل

لننجح في الحياة . فالنجاح ليس بالكيمياء والرياضيات وحدهما بل في كل شيء . وعلينا الاستعانة بالقرآن الكريم كلَّ يوم للنجاح في الامتحان .

٢) إنك وصفت تأثير تلاوة القرآن الكريم بالمسكِّن والمطمِّن للنفس . وأنا اقول إن القرآن الكريم : « نور وهُدىً وموعظة ورحمة وشفاءٌ لما في الصدور . » احفظ الآيات التالية :

سورة التغابن (آية ٨) :

« فآمِنوا باللهِ ورَسولِه والنُّورِ الذي أنزَلْنَا واللهُ بما تعملونَ خَبير »

سورة يونس (آية ٥٧ و ٥٨) :

« يا أيُّها الناسُ قد جاءتكم موعِظَةٌ مِنْ ربِّكم وَشِفَاءٌ لما في الصدورِ وهُدًى ورَحمةٌ لِلمُؤْمنين *

قُلْ بِفضلِ اللهِ وبرحمتِهِ فبذلك فَلْيَفْرَحُوا هو خيرٌ مِمَّا يجمعون »

سورة الرّعد (آية ٣٠ و ٣١):

« الذين آمَنوا وتَطمئِنُّ قُلُوبُهم بِذكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القلوب ★ الذين آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالحاتِ طُوبى لَهُمْ وحُسْنُ مَآبٍ . »

٣) إن نجاحك في الامتحانات يتطلب منك إيماناً صادقاً، إيماناً تستطيع به أن تطرد عن ذهنك كل المغريات والملهيات وتُركِّزَ فكرك وجهدك في الدرس.

أي أنك تحتاج الى شيء من (ا) التعبد الحقيقي الذي يساعد على صفاء الذهن والذي يستوحي النور والهداية من الخالق الاعظم (ب) الجهد الكافي الذي يمكنك من السيطرة على الدرس بالتكرار واعمال الفكر والملاحظة الدقيقة .

٤) سررت برغبتك في درس الفلسفة ولكني أرى أن درس الفلسفة يتطلب اهتماماً جدّياً ولا يكفي ان تحضر كمستمع فإنك بالاستماع لا تتقن الفلسفة . ولا بد لك من تنظيم اوقاتك الدراسية . فاذا كنت ضعيفاً في دروسك فهل من المصلحة ان تصرف اوقاتك في درس اضافيّ ولو مستمعاً . هـذه امور تخصّك وعليك ان تفكر فيها مليّاً واطلب نصيحة الدكتور كوراني فهو يرشدك في هذه الامور . صحتي لا بأس بها والحمد لله . وإني ادرس هـذه الأيام الفلسفة اليونانية . ومذهب يونك في علم النفس وكتاباً عن الهند واللغة التركية ، ذلك بالاضافة الى العبادة وتلاوة القرآن .

ارجوك ان تحتفظ بمكاتيبي إليك ولا تتلفها .

سلامي لمن يسألك عني من الاساتذة والاصدقاء.

واسلم لأبيك

فاضل

بغداد في ١٧ شباط سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية ، اشكرك جزيل الشكر على كتابك المؤرخ ٦ شباط واشكرك بصورة خاصة عـــلى تعقيبك مطاليبي الكتبية فإني انتظر كتاب مقاصد الفلاسفة .

ولقد سررت كثـــيراً لانهماكك في الدّروس وأرجو لك النجاح في الامتحان كما سررت لتلاوتك القرآن الكريم وتلاوتك كتاب « عـــلي وبنوه » لطه حسين .

اني اكتب إليك الآن وقت السحور ، فهذا اليوم الثاني من رمضان المبارك. لقد صمت بالأمس والحمد لله وكنت مرتاحاً تماماً وارجو ان أوفق إلى أداء فريضة

الصيام بالصحة والسلامة . ولا تدري كم في الصيام من فوائد روحية ونفسية واجتماعية وجسمانية . وفي الحقيقــة إنه درس في الضبط الروحي والإرادي والاجتماعي والجسدي . فهنيئاً للمسلمين الصائمين في رمضان . انني لا زلت مستمراً في العبادة والمطالعة على العادة . وانقــل اليك الآية الكريمة (١٨٥) من سورة البقرة : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك

فاضل

بغداد في ٢٠ شباط سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية ، اشكرك على كتـــابك المؤرخ ١١ شباط الذي تعلق فيه على رسالتي المؤرخة ٣ منه التي تصفها بأنها « قيمة » وهذا لطف منك وتنازل . ويسرني ان أجد في تعليقــك على رسالتي الصراحة والجرأة والبساطة، فهذه ميزات طيبة تحمد عليهــا . واسمح لي أن أجيب على تعليقك :

١) صلاحيتي للحكم على رجال العلم الذين ينكرون وجود الخالق الاعظم : اعتقد ان لكل مؤمن طالب علم وطالب حقيقة الصلاحية ان يميز بـــين المهتدي

والضال . أما أنا فقد نشأت في بيئة دينية ، فوالدي كان عالماً في الدين والمرحومة والدتي كانت « مــلا » وأنا نشأت على دراسة الدين ، ثم العلوم الطبيعية ، ثم الفلسفة وعلم النفس والتربية والتعليم . ثم اني تدرجت في الحياة من بيئة جامدة متعصبة خرافية ، الى بيئة فيها احدث الآراء والنظريات العلميـــة والفلسفية والاجتماعية والروحية ، ومارست الاشتغال في جمعيات ومؤسسات دينية تعمل على تقريب وجهــات النظر المختلفة وتوسيع الافق الفكري والروحي للانسان. ثم اني خبرت مجرى تطور البشرية وحياة الانسان بما فيها من سعادة وشقاء في الخمسين سنة الاخيرة . اعتقد ان شخصــاً بهذه المؤهلات يحق له ان يبدي رأياً متواضعاً قد يكون فيه مخطئاً ام مصيباً .

٢) تريد مثالاً لعالم شطّ عن السبيل ، اذكر لك

شخصاً احترم علمـــه وله في تاريخ الفكر البشري الحديث اثر عميق ، الا وهو جارلس دارون الذي الف كتاب «اصل الانواع» ونشر النظرية المعروفة بالنشوء والارتقاء . لا شك في ان الروح العلمية التي يحملها دارون تستحق الاجلال والاحترام وإن تدقيقـــاته العلمية كانت ثمينة مهما وجـــد في نظرياته بعدئذ من أخطاء . إن دارون كان رجلاً مؤمناً ولكنه بدون شعور منه وبدون قصد فَقَدَ إيمـــانه تدريجياً حتى اكتشف لنفسه أنه غير مؤمن . فهل هناك علاقة بين علم دارون وبين الالحاد ؟ هل من الضروري ان نربط بين العلم والالحاد ؟ ألم يكن الافضل لعالم اكتشف او توصل إلى نظرية خطيرة كنظرية النشوء ان يزيد ايمانه بالله ويقوى ؟! ولكن دارون نفسه يعترف بأنه لم يقصد ولم يشعر بما حصل له . إني درست حياة دارون يوم كنت ادرس في الجامعة الاميركية . وهناك

عدد من العلماء في القرن الماضي والذي قبله غرّهم التقدم السريع للعلوم الطبيعية ، فحسبوا ان الإنسان أصبح سيد الكون ، بينما صرنا نجد العلماء اليوم اكثر تواضعاً ، فهم يدركون ان للعلوم الطبيعية حدوداً معلومة وهي ان تلاحظ وتدرس الظواهر الطبيعية وتصنفها وتتوصل الى نظريات والى قوانين طبيعية ، ثم تقوم بملاحظات أخرى أو تجاريب جديدة وهكذا ... هذا والكل يسلمون أن القوانين الطبيعية هي وصفية وليست سببية أي انها تصف ما يجري ولا تسأل لماذا ؟ ومن أين؟ والى أين ؟ (بالمعنى الغائي) بل تكتفي بالإجابة على السؤال ماذا ؟ إن الاسئلة الثلاثة الأولى هي فلسفية وإن العلماء في دائرة علمهم لا يستطيعون الإجابة عليها بل هم يدخلون دائرة الفلسفة فبعضهم يقول هناك قوة كونية او عقل كوني أو قوة لا نعرف ما هي

او قوة حياتية أو مادة أزلية ، الى ما هنالك . ولما تعجز الفلسفة ايضاً عن الإجابة يأتي الدّين فيجيب ان هذه القوة مدبرة الكون والخلاقـــة هي الله . وفي الحقيقة إن العلم له الكون المحسوس والعالَم الطبيعي بكامله كحقل للعمل والدرس ؛ والفلسفة هي ما وراء العلم ؛ والدّين من وراء الكلّ . هذا رأيي الشخصي . وإني حين اعتبرت العلماء الذين انكروا وجود الخالق خارجين عن حدود العلم لم اتجنَّ عليهم إلا لأنهم خرجوا عن حقل العلم ودخلوا حقـــلاً اوسع . وليس من الضروري ان يكون جهلهم او غرورهم متعمداً ، بل قد يكون عفوياً وغير شعوري كما هو الحال مع دارون . وليس من الضروري ان يكون ذلك عن عدم اخلاص ، بل قد يكون نتيجة لتفكير شخصي أو مزاج خاص ، فليس البشر سواسية في مقدرتهم

على الإهتداء بنور الايمان . انقل إليك الآية الكريمة (٥٦) من سورة القصص : « إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاءُ وهو أَعْلَمُ بالمهتدين » .

سوف أجيب على النقاط الاخرى التي أوردتها في مكاتيبي القادمة إن شاء الله . سررت لصيامك ، فأسأل الله ان يوفقك ويحفظك وان يكون صومك مباركاً . سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك

فاضل

ملحوظة نعم إني احتفظ بمكاتيبك ومكاتيب أخيك.
العمّ ابو بكر يسلم عليك كثيراً .

بغداد في ٢٣ رمضان سنة ١٣٨٠
١٠ اذار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . اشكرك على كتاب « مقاصد الفلاسفة » فقد وصلني اليوم . ولم يصلني منك مكتوب هـذا الاسبوع . أما أنا فمرتاح في الصيام والحمد لله ، وقد حفظت سورة لقمان جيداً . وهأنا استمر على تعليقي على كتابك المؤرخ ١١ شباط ، وإن تعليقاتي ستستمر لبضعة مكاتيب أخرى إن شاء الله .

١) أهميـة الدّين للفرد : إن الفرد في هذا العالم المملوء بالتقلبات والمصاعب والمصائب يشعر بطمأنينة نفسية ، ويشعر بأن له سنداً قوياً وملجـأً حصيناً

اذا كان مؤمناً إيماناً عميقاً ، إذ يشعر ان للكون إلهاً يعنى به ويشمله برحمته ولطفه ، كما يغمره بنعمه وآلائه ، ويبهره بعظمة وبجمال مخلوقاته . فالمتدين الحق يدرك أن للكون إلهاً هو مصدر الخير والبركة ومرجع أعلى للحق والحقيقة ، ومنبع أسمى للجمال والنور . فالفرد المتدين لا يكون غريباً في هذا الكون ، بل هو من اهل البيت ، وهو إنما وجد ليساهم في تنفيذ إرادة الله العظمى وحكمته . والرجل المؤمن يكون سعيداً ، شجاعاً ، مقداماً ، مهما اعتراه من مصائب ومصاعب ، بعكس الملحد الذي يستولي عليه اليأس والقنوط ، ويعلن الافلاس الروحي أمام النكبات ، وذلك لأنه لا يعرف للحياة قيمة ولا معنى خارج وجوده الحيواني . ولذلك نشاهد في هذا الزمان تفشي الحالات العصبية بين من تضعف فيهم

الروح الدينية ، الأمر الذي قد يؤدي الى الجريمـــة والانتحار .

٢) أهمية الدين للمجتمع : الدين ضابط اجتماعي فهو من الناحية الايجابية يوجه المتدين الصادق نحـــو عمل الخير والمحبة والرحمة والاخوة الانسانية . أما من الناحية السلبية ، فهو يمنـــع الفرد من ارتكاب المعاصي والجرائم ، فالذي يخاف الله أو الذي يحب الله ويؤمن باليوم الآخر لا يعمل الشرّ . إن النظم الاجتماعية التي لا تعتمد على الدّين تكثر من رجال الامن والمباحث ، او تعتمد على التربية العلمانيـــة . ولكن هذا لا يكفي لحماية الانسان من الشرّ . فلا الشرطي ولا المعـــلم يرافقان الفرد في السرّ والعلن . فما يرافق الانسان ويسيطر على نفسه ظاهرها وباطنها هو الايمان بالله . فالانسان المتدين هو شرطي نفسه ومعلم نفسه .

٣) <u>الدين كمنبع للفضيلة</u> : إن الدين هو منبع الفضيلة بمعناها السامي ، اي بدافع حبّ الخير والمحبة والرحمة . لا شك في ان عمل الخير وجد قبل الاديان ، ولكنه كان بدافـــع الغريزة ، غريزة حبّ البقاء . فالأم في الحيوانات تشفق على افراخها بدافع الغريزة ، وليس بدافع الرحمة والمحبة ، كما هو الحال في الا سان المتدين ، فالدافع الديني الصادق هـــو منبع فياض للفضيلة وعمل الخير .

٤) <u>الدين في عصر العـــلم</u> : أؤكد لك بأن الانسان المتحضر اليوم لا يقل احتياجاً الى الدين عن الانسان القديم ، بالرغم من تقدم العلوم المادية والمخترعات واختراق الفضاء . فالانسان اليوم في قلق روحي واجتماعي ، قد يؤدي به الى الانتحار الاجماعي ما لم يتزود بالايمان وما يرافقه من حب الخير والحق والحرية . ولذلك أخذ بعض كبار العلماء والفلاسفة

من أمثـــال المؤرخ الانكليزي الشهير ارنولد توينبي والفيلسوف الامريكي الجليل وليام ارنست هوكنك يؤكدون على حاجة الانسان اليوم الى دين . فالعصرية والتجدد لا تستوجبان ترك الفضيلة ، او ترك العبادة ، او عدم الخضوع للنواميس الالهية في توجيه مصير الانسان . إن الذين تركوا الدين وراء ظهورهم صاروا يؤلّهون المادة ، واعتمدوا على الارهاب وخضعوا للحزب وقادتـــه ، كما لو كانوا اصناماً . أليس في هذا رجوع بالبشرية الى العهود الفرعونية ؟ إن البلاد غير المتدينة ، أو التي تتدين بالمادية ، لا تعترف بقيمة الفرد الانسانية . وتعامل الفرد المخالف بمنتهى البربرية والقسوة .

٥) **العصرون إزاء الدين** : ا) مُراءٍ منـــافق يتظاهر بالتدين لقضاء مصلحته .

صَلَّىٰ وصامَ لأمرٍ كان يَطلُبُه
لما انقضى الأمرُ لا صلّى ولا صاما

ب) جبان يتظاهر بالتدين لكي لا يقذفه المجتمع بالكفر والالحاد .

ج) انتهازي يتظاهر بالالحاد للسير مع القوة . لأن فئة غـير متدينة طغت في البلاد بعض الوقت .

د) مغرور لم يتعلم الفباء العلوم الحديثة ، إلا وصار يتطاول على الاديان ، وعلى الانبياء ورجال الدين المخلصين .

٦) إني اعتقـد بان اساس الدين الصدق والاخلاق . فمن كان منافقاً ، او جباناً ، فهو ليس من الدين في شيء . هذا ، وإن الإيمان لا يمكن ان يفرض على الانسان ، بل هو منحة من الله وهداية .

فمن لم يهتد بهدى الله ، فلا فائدة ترتجي من سوقـــه الى الايمان .

انقل اليك الآية الكريمة (٢٠) من سورة لقمان :

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَاسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـــه ظاهِرةً وبَاطِنة ، وَمِنَ النَّاس مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بغيرِ علمٍ ولا هدًى وَلا كتابٍ منير » .

قد يصلك هذا الكتاب مع حلول عيد الفطر المبارك ، « فارجو لك عيداً سعيداً . وأسأل الله ان يعيده عليك بالصحة والسعادة والنجاح » .

سلم على من يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٣ اذار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . اشكرك على كتابك المؤرخ ٢٣ شباط . وقد سررت باهتمامك في البحث عن كتاب « مقاصد الفلاسفة » ، ومع ذلك ، فإني لا زلت اترقب الطبعة الكاثوليكية ، لأنها تحوي تحقيقاً علمياً ، ولأنها تكمل المجموعة التي عندي . كما سررت لحضورك درس الفلسفة مستمعاً . وكنت ارجو ان يكون حضورك إلزامياً ، وذلك لأهمية هذا الدرس في نظري ، ومع ذلك فأنا تركت الأمر لتقديرك . وقد يكون حضورك الآن مشهّياً ، فتستزيد من درس الفلسفة في المستقبل .

إن كتابك المورخ ١١ شباط ، أثار نقاطاً عديدة سأستمر على الإجابة عليها في عدة مكاتيب ان شاء الله ، فهاكَ بعض الملاحظات الآن .

١) ما هو التدين؟ : التَدَيُّن ، هو شعور الانسان بالخشوع والقدسية والتعلق نحــو معبودِه . ويرافق هذا الشعور ، مجموعة من المعتقدات والافعال الفردية والاجتماعية . وان هذا الشعور يستولي على النفس ظاهرها وباطنها ، ولذلك فالاستقرار النفسي للكثيرين من البشر يستوجب ان يكونوا متدينين .

٢) التدين أمر فطري : إن دراسات عديدة في علم النفس تدل على ان الاستعداد للتدين موجــود فطريّاً في الافراد ، وان الحاجة إلى الدين من الامور الطبيعية لضمان السعادة والاستقرار ، وتعيين اتجــاه للحياة . ولا شك في ان درجة الاستعداد للتدين ،

تختلف من فرد لآخر ، فبعض الافراد لهم استعداد للتدين اكثر من غيرهم .

٣) نشوء الاديان : إن كل فرد تقريباً له معبود . فقد كان البشر يعبدون الظواهر الطبيعية ، كالشمس والقمر والنجوم والحيوانات والاشجار والأنهار والاحجار والاصنام ، ثم آلهة لها اشكال واوصاف خارقة سجلتها الأساطير ، ثم عبدوا الافراد والقوة والمال ، والبعض يعبد الدولة ، او الحزب ، او التكنيك ، الى غير ذلك ، فقد ظلّ البشر يتقلب في عبادته ، حتى ترفع عن عبادة أيّ شيء محسوس ، أو محدود . وتحرر من كل القيود الفكرية والمادية في عبادته ، فبدأ يعبد الإله واجب الوجود ، غير المحدود ، الواحد الأحد ، الذي « ليس كَمِثْلِهِ شَيْء » ، والذي « لا تدركه الأبصار

وهو يدرك الأبصار » ، وهـــو إله ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) . إذن ففكرة التطور في المعتقدات من الامور المسلم بها فعلاً . فإن عبادة الله ، الواحد الأحد ، معناها تحرر البشرية من كل عبودية مادية ، أو فردية . فلا يعبد الانسان مخلوقاً من مخلوقات الله ، ولا يعبد انساناً ، ولا ما أوجده الانسان ، بل يعبد الله وحده ، وهذا في نظري هو أسمى مراتب النشوء والارتقاء في العبادة .

٤) <u>اكتساب الايمان</u> : يحصل الانسان على الإيمان ، إما عن طريق الوراثة الاجتماعية ، فيتعلم من بيئة دينهم ، وإما عن طريق المشاهدة والتـــأمل والتفكير ، فإنك تعرف من درسك القرآن ، بأن ابراهيم ، عليه السلام ، لما نظر الى النجوم ، ثم الى القمر ، ثم الى الشمس استعمل عقله ، فرفض عبادتها ، كما رفض عبادة الأصنام التي لا تنطق ، فتوصل الى

الايمان بالله تعالى . وإما عن طريق العاطفة والخوف والحبّ والرجاء ، وإما عن طريق الالهام والرؤيا ، وإما باكثر من واحد من الطرق المذكورة . وإني لا أتفق مع القائلين بأن الايمان يتنافى مع العقل ، هذا هراء ، فالايمان يشمل النفس بكاملها بما فيها الفكر والعاطفة والإرادة .

٥) إن المعتقدات والأفعال الدينية تتخذ صفة فردية بين المرء وخالقه ، كما تتخذ صفة اجتماعيـــة . فالذي يعيش في مجتمع يفترض فيه ان يسير مع الجماعة ، والذي يشط قد يصبح منبوذاً . وهنا تنشأ مشكلة التقليد الاعمى والتعصب الذميم . ولكن هذا يحصل في المجتمعات المتأخرة عادة ، المجتمعات التي لا يسودها التفكير الحر ، ولا التربية الصالحة . أما المجتمعات التي تربي أبناءهـــا ، فهي تعمل بقوله

تعالى « لا إكرَاهَ فِي الدِّينِ ، قــد تَبَيَّنَ الرشدُ مِنَ الغَيِّ » .

هذه بضعة ملاحظات على بعض النقاط التي أثرتها في كتابك ، وهي ملاحظات مستقاة من اختباراتي الشخصية ومطالعاتي ، وقد تكون قابلة للتصحيح أو التنقيح ، فإني لا زلت طالب حقيقة وطالب علم .

أنقل إليك الآية الكريمة (١٠٨) من سورة يونس :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قد جَاءَكُمُ الحقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ ، فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيل » .

سلم على من يسألك عني من الأصدقاء والأساتذة .

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٣٠ رمضان المبارك سنة ١٣٨٠
في ١٧ اذار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . أشكرك على كتابك المؤرخ ١٠ آذار ، وقد أدهشني فيه عدم انتظام أوقاتك ! ويعجبني أن تصف لي ماذا تعمل في الـ ٢٤ ساعة يومياً ! أما الصيام ، فالأجر على قدر المشقة ! وإذا قرأت القرآن فقد تجد ان الرئيس بورقيبه ربما نصح العمال باتباع قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسْرَ ، ولا يريد بكم العُسْرَ » .. « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ... » أما المريض فحكمه صريح . وما هو الكتاب الذي تدرسون في الفلسفة الاسلامية ، أود الاطلاع عليه .

هأنا أستمر في تعليقي على كتابك المؤرخ ١١ شباط. فهاك بعض ما يربك الشاب المثقف في الموقف الديني :

١) التضارب الظاهري بين العلم والدين : لو رجعنا الى العصور القديمة والوسطى لوجدنا ان دراسة العلم والفلسفة والدين ، كانت موحدة . وكان الانسان يحاول ان يتعلم كل ما يهضمه من ألوان المعرفة ممزوجة . ولما بدأ عصر التخصص ، ولا سيما من القرن السادس عشر فصاعداً ، وأخذ رجال العلم بأساليب علمية حديثة وصفها الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون . أما رجال الدين فقد صاروا يقاومون أحياناً ، الأفكار العلمية الحديثة ، وأخذت الشقة بينهم وبين رجال العلم تتسع والصراع يقوى ، ولا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ولكن هذا الصراع هو بين بعض رجال العلم وبعض رجال الدين ، وليس بين

العلم والدين من حيث هما علم ودين . فالعلم والدين في الحقيقة لا يتصادمان ، فلكل حقله الخاص به ، فالعلم يعالج الأمور القابلة القياس ، المحدودة ، والدين يعالج أموراً هي ما وراء الطبيعة ، وترتبط بغير المحدود . والعلم يستخدم المقاييس والمشاهدة والتجربة ، والدين يستخدم التأمل والالهام . ولغة العلم تختلف عن لغة الدين . والعلم يبحث عن السفينة الكونية وتركيبها ، والدين يبحث عن خالق السفينة وعن الرّبان الأعظم ! إذن فالعلم والدين يكمل أحدهما الآخر ، ولا يتضاربان في الحقيقة . وإن أي تصادم موقت بينهما يرجع سببه الى تخطي رجل العلم ، أو رجل الدين حدود بحثه وأسلوبه . وإني أعتقد أن المعركة بين رجال العلم والدين قد انتهت في النصف الأول من هذا القرن ، تقريباً ، فلا نسمع اليوم صراعاً يذكر بين رجال العلم ورجال الدين الحقيقيين.

فالشاب المثقف المتدين ، يستطيـــع ان يطمئن بأن ليست هناك في الدين الصحيح حدود تحد حريته في البحث العلمي المجرد عن الهوى والغرض .

٢) تناحر الأديان فيما بينها : يجابه الشاب المثقف أدياناً متعددة متناحرة فيما بينها أحياناً . إن تعدد الأديان من الامور الطبيعية ، وذلك لتعدد الظروف التاريخية للاديان المختلفـــة ، ولكون التفكير الديني تطور في بعض أنحاء العالم . ولم تجار البشرية في الانحاء الأخرى هـــذا التطور ، بل بقي معظم البشر في الادوار الأولى من النشوء الديني . ولما كان هدف الاديان السماوية واحـداً : وهو الايمان بالله وباليوم الآخر ، وبعمل الخير ؛ فعلى أهل كل دين ان يدرسوا دينهم باخلاص . وأن يدركوا ان اختلاف الاديان يجب ان يكون حافزاً للتسابق في قوة الايمان

بالله والتشرب بروح الاخوة والرحمة وعمل الخير ، وليس سبباً للتفرقة والتعصب الاعمى . فقد جاء في القرآن الكريم (سورة المائدة) « ... ولو شاء اللهُ لجعَلكم أُمّةً واحِدَة ، ولكن ليبلوكم في ما آتيكم فاستَبِقوا الخيرات ... » فعلى المسلم أن يبرهن أنه السَبَّاق في عمل الخير ، وفي رفع لواء الاخوة والعدالة والرحمة بين بني الانسان . وأن يأخذ بقوله تعالى في سورة آل عمران : « قُلْ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سَواءٍ بَيننا وبَيْنَكم ألَّا نَعْبُدَ إلَّا اللهَ ولا نُشْرِكَ بهِ شيئاً . .» وقوله تعالى في سورة العنكبوت : « ولا تُجادِلوا أهلَ الكِتابِ إلَّا بالتي هي أحسَن إلَّا الذين ظَلِمُوا منهم ، وقولوا آمَنَّا بالَّذِي أُنزِلَ إلينا وأُنزِلَ إليكم ، وإلهُنَا وإلهُكم واحدٌ ونحنُ لَهُ مُسلِمُون » .

٢) الشقة بين تعاليم الدين وواقع المسلمين : إن من يلاحظ التأخر في حياة المسلمين ، المادية والروحية ، قد يتسرع فيحكم على الدين الاسلامي من واقع المسلمين . وهذا غير صحيح بالمرة . فإن ما حـــل بالمسلمين من خلافات وحروب تخريبية ، داخلية وخارجية ، في الماضي ، وتناحر الحاكمين ، فيما بينهم ، أدى الى ما نشاهده اليوم من جهل وتعصب وفقر ومرض بـــين المسلمين . ولكن هذه الاحوال المزرية هي ، وحقيقة الاسلام ، على طرفي نقيض . فليس من الانصاف في شيء أن يحكم على الدين وتعاليمه من حالة الشعب المتأخرة . وعلى الشاب المثقف أن يرجع الى جوهر الدين وتعاليمه ليتعرف على ما فيه من نزعة اصلاحية تقدمية . وإن الجمود والتأخر المستحوذين على العالم الاسلامي اليوم ، يرجع سببهما الى عدم الأخذ بتعاليم الدين الحنيف التي تحث على العمل والانشاء والاخاء .

٤) **تعدد المذاهب الاسلامية** : إن ظروفاً سياسية مؤلمة أدت الى انقسام المسلمين الى مذاهب . ولكن هذا الانقسام لم يمسّ الجوهر والعقيدة ، والحمد لله ، بل يتناول الفروع قليلاً . ولذلك فعلى المسلمين أن يعملوا بقوله تعالى : « إنَّ هذه أُمَّتُكم أمةً واحدةً ، وأنا رَبُّكم فاعْبُدونِ . » وأن يتذكروا قوله تعالى في سورة الأنعام : « إن الذين فرّقوا دينَهم وكانوا شِيَعاً لستَ منهم في شَيء ... » واعتقد ان جهوداً موفقة تبذل اليوم في العالم الاسلامي للتقريب بين المذاهب الاسلامية .

٥) **تعدد المدارس الفلسفية والدينية في الاسلام :**

وهـذا أمر طبيعي فالبحث العلمي يجب ان يكون حرّاً وسواء أكان المذهب الفلسفي اشعرياً أم اعتزالياً فهو دليل سعة صدر الاسلام في تقبل البحث العلمي

واختلاف الاجتهاد فيه . فما دام رائد كل مدرسة أو مجتهد هو حبّ الحقيقة وخدمة الدين فهو حرّ في دراسته ، ولكل فرد ان يسعى وراء الحقيقة وان يتبع المدرسة الفكرية التي يرتضيها لنفسه ما دام غير خارج عن العقائد الأساسية للدين . وليس المفروض في الرجـــل الاعتيادي ان يربك فكره في متاهات الفلسفة إلا إذا شاء التخصص والتعمق في هذا الباب . فعلى الشاب المثقف ان يجد سبيله إذا شاء التوغل في المدارس الفلسفية ويطلب الهداية من الله تعالى .

انقل إليك الآية الكريمة (٧٧) من سورة مريم :

« وَيَزِيدُ اللهُ ٱلذِينَ اهتَدَوْا هُدًى والباقياتُ الصالحاتُ خير عند رَبِّكَ ثواباً وَخيرٌ مَرَدّاً » .

من هنا الجماعة ، ولا سيما ابو بكر ، يسلمون عليك . سلم على من يسألك عـــني من الاساتذة والاصدقاء .

واسلم لأبيك

فاضل

ملحوظة : جاء في كتابك : وان احتفض بصحتي والصحيح وان احتفظ بصحتي .

★

بغداد في ٢٥ اذار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . لم يصلني كتابك هـذا الاسبوع بعد . أما أنا فأكتب على العادة . صحتي جيـــدة والحمد لله وقد زارتني والدتك مع عدد من الاقرباء والاصدقاء كل يوم من أيام العيد المبارك .

أعود إلى كتابك المؤرخ ١١ شباط وفيـه تسأل « ما هو الدين ؟ ولنأخذ الاسلام مثـــلاً للاديان: لا اعتقد ان تعريف الدين الاسلامي شيء هين ، اذ قلما تجد فرقتين من النـــاس يتفقان على رأي فيه ... » أجيبك بما يلي :

١) أشرت قبل هذا إلى رأيي في معنى التدين ، وإلى نشوء الأديان وتطورها . وقلت لك ان أرقى ما وصل إليه النشوء الروحي للانسان هو الإيمان بالله الواحد الأحـد ، إله ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) . فالاسلام : ... « ملّة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل ... » آخر سورة : الحج .

٢) الاسلام (كما افهمه أنا) ، ليس التعصب الاعمى والطائفية ، وليس المماحكات المذهبية ، وليس جدل الفلاسفة والمتكلمين ، وليس الجمود الفكري والخرافات ، وليس الكسل والقعود عن الانشاء والبناء المـادي والمعنوي ، وليس الدجل والشعوذة ، وليس الرياء والنفاق ، وليس التقشف وحرمـان النفس والفقر المدقع والمرض ، وليس الوسخ والقذارة ، وليس الانغماس في الملذات الجنسية « والحريم » ، كل هذه

ليست من الاسلام في شيء . فإذا طردت هذه الأمور من حقل الاسلام، تجـــد ان الاسلام واضح بسيط مفهوم ، لا يختلف في فهمه اثنان ممن هداهم الله وأنار قلوبهم بنور الإيمان .

٣) الاسلام لغة هو تسليم الانسان نفسه وخضوعه وانقيـاده بكليته إلى الله تعالى . فإذا ما خضع الانسان واستسلم إلى ارادة الله تعالى روحـاً وعقلاً وجسداً وعملاً فهو مسلم لغة .

٤) المسلم شرعاً هو من يقول : « اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله » وهذا متفق عليه بين المسلمين جميعاً .

٥) الاسلام واقعياً هو نظام الهي يوجه حياة المسلم في كل مناحيها الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . فهو يشتمل على :

(ا) معتقدات و(ب) عبادات و(ج) نظـــام اجتماعي و(د) أخلاق . ويمكنني أن أصف الــدين الإسلامي بأنه دين كُلّيٌّ حُرٌّ ومحرِّرٌ . فهو يختلف عن الأديان التي تعنى بالناحية الروحية للانسان ، فقط ، وتترك الناحية المادية والدنيوية عرضة لتأثيرات خارجية. كما أنه يختلف عن الأنظمة الكُلِّيَّة التي تستبد بالفرد وتخضعه للزعيم أو الحزب ، كالفاشية والنازية والشيوعية. فهذه الأنظمة الكلية تحـــاول السيطرة على الفرد ، خارجياً ، فتحدد حريته ، بخـــلاف الإسلام الذي يحرر الفرد من كل سلطان خارجي ، أو طمع مادي . فما لم يعتمد الإنسان على أخيه الإنسان ، فهو لا يخاف أحداً ، إلّا الله . وما دام الإنسان متبعاً أوامر خالقه ومتجنباً نواهيه ، فهو حرّ مطلق الحرّية. والإسلام نظام ديمقراطي من غير تفريط ، وضابط

للافراد من غير استعباد . والإسلام يحرر الإنسان من الخوف والعوز ، ويضمن حرية الوجـــدان ، ويدعو الى التكافل الإجتماعي ، وهو بعد كل هذا ، دين السلام ، السلام المؤسس على الحق والعدل بين الأفراد والشعوب . وسوف أتناول في مكاتيب قادمة ان شاء الله ، بسائط القضايا الجوهرية التي يدعو اليها الإسلام في المعتقدات والعبادات والتشريع الاجتماعي والأخلاق . ولا أعتقد أن وجهـــة النظر النيرة في درس الاسلام تجابه عقبات لا يمكن التغلب عليها بحيث يتجـــه الشباب المسلم ، اليوم ، الى التشرب بمبادىء دينه الحنيف . وهأنا انقل إليك الآية (١٧٧) من سورة البقرة الكريمة . وهذه الآية تحوي أسس : العقـــائد والعبادات ، وبعض النواحي الاجتماعية والأخلاقية المهمة في الدين الاسلامي :

« ليس البِرَّ أن تُوَلُّوا وجوهَـــكم قِبَلَ المشرِقِ

والمغرب ، ولكن البرّ : مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ ، والملٰئِكَةِ والكِتاب والنبيّين وآتى المال على حُبِّهِ ذَوِي القُربَىٰ واليَتامَىٰ والمساكين وابنَ السبيلِ والسَائِلينَ ، وفي الرِّقابِ ، وأقامَ الصلاةَ ، وآتى الزكوٰةَ ، والموفونَ بعهدِهِم ، إذا عاهَدُوا ، والصَّابِرِينَ في البَأْساءِ والضرّاءِ ، وحينَ البَأسِ ، أولئِكَ الذينَ صَدَقُوا ، وأولئِكَ هم المُتَّقُون » .

وبعد فأسأل الله أن يرزقنا جميعاً نعمة الايمان وينجّينا من مزالق الفلاسفة والمتكلمين ، ومن جدل الماديين الملحدين .

سلامي لمن يسألك عني من الاساتذة والاصدقاء .

واسلم لأبيك

فاضل

الجماعة هنا ، ولا سيما ابو بكر ، يسلمون عليك .

بغداد في ٣١ اذار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالتوفيق والهداية. أشكرك على كتابك المؤرخ ٢٠ آذار الذي تشرفني فيه بتشبيهي بالكندي ، أو بجماعة المعتزلة الذين مهدوا للكندي ، على حد قولك. ولكني لا استحق هذا التشريف . وإني اتفق معك بأني لست فيلسوفاً ولا مجدداً في تفكيري ، وإني لم أدَّعِ ذلك . وما أنا إلا طالب حقيقة ، وإنَّ سعيي وراء الحقيقة هداني إلى أهمية الايمان الصحيح الشامل في الحياة . ولذلك ، فإني مؤمن قبل كل شيء . وهاك بعض ما توصلت إليه من آراء وأنا في طريقي الى الايمان :

١) مع تقديري التام لأهمية العقل البشري في

اكتشاف الحقائق ، ودعوتي إلى استعمال العقــل إلى أقصى حدود الامكان ، فإني اعتقد ان العقل البشري محدود ، فهو يستطيع أن يستوعب الامور المحدودة. أما الأمور غير المحدودة ، فهي خارج نطاقه في الوقت الحاضر ، على الأقل . فلا يزال العقل البشري يسعى لتفسير النظــام المادي للكون ، وهو لم يستقر على رأي فيه بعد . أما الناحية غير المادية من الكون ، فالعقل البشري قد يقف على شاطىء بحرها ، ولكنه لم يخض في البحر بعد ، ولم يتعلم السباحة في هــذا البحر ، إلا أفراد قلائل ممن حباهم الله نور الايمان . هذا ، وإن العقل البشري هو حادث جديد نسبياً في هذا الكون ، فعمره قد يقاس بعمر طفل رضيع لم تمض على ولادته أكثر من أربعــة أيام بالنسبة لعمر الكرة الارضية ، ونشوء الحياة عليها . فكيف

يستطيع هذا الطفل الرضيع ان يهضم طعاماً دَسِماً في حقل الروحيات ؟

٢) إني وجدت ان المذاهب الفلسفية ، على اختلافها ، غير مطمنة لنفس . فكل منها تحوي وجهة نظر صحيحة ، ولكن ليس فيها مذهب يشمل الحقيقة كلها . ففي كل منها صفحة من الحقيقة ، وفي كل منها نقص . فهي تذكرني بالقصة الهندية عن العميان الستة الذين فحصوا الفيل ، وكل منهم وصفه وصفاً مختلفاً عن وصف صاحبه ، ذلك لأن أحدهم لمس الخرطوم ، وآخر لمس السِّيقان ، وآخر لمس الاذن ، وآخر لمس البطن الخ ... كل منهم محق ووصفه صحيح ، ولكن ليس بينهم من رأى الفيل كله ، فأعطي وصفاً كاملاً . فالانسان في هذا الكون لا يختلف كثيراً عن العميان ، حين يضع فلسفة لتفسير الكون . ذلك لأن عقله محدود .

٣) إن آخر ما توصل إليه العلم الحديث يتجلى في قوة كل من روسيا السوفياتية ، والولايات المتحدة الامريكية . فهل تعتقد ان السعادة والامان والحرية تخيم في ربوع هذين البلدين العملاقين ؟ هل إن الفرد الامريكي ، وهو يتمتع بأعظم ما بلغتـــه البشرية من رفاه مادي ، هو سعيد ومطمئن اليوم ؟ أليس هناك ملل وبطر الى جانب الخوف والقلق ؟ وما هو حال الفرد في روسية السوفياتية ؟ وهل هو اكثر من اداة مسخرة بيد الدولة ، فاقد الحرية وفاقد الشخصية ؟ إذن فالعقل وحده والعلم وحده (مع تسليمي باهميتها العظمى للانسان) لا يكفيان .

٤) بعد ان اقتنعت بعدم كفاية العقل وحده ، وعدم كفاية العلم وحده ، اهتديت الى أهمية الايمان للانسان . وأداة الإيمان ليس العقل وحـــده ، بل هناك حقائق كونية لا يستطيع العقل ان يدرك كنهها

مع إدراكه وجودها . وهنا يأتي موضوع الالهـام والوحي ، فهي مصادر لادراك الحقـائق الكونية فوق العقل ، أو وراءه . وفي الحقيقة إن العقل هو الذي هداني إلى ما وراء العقل ، أو ما فوق العقل: إلى الايمان ...

٥) إني اعتقد ان البشرية اليوم هي أحوج ما تكون إلى إيمان صحيح شامل يوجهها نحو الخير على أساس الوحدة والأخوة والمحبة بين الأفراد والشعوب. فالبشرية تحتاج الى جانب الطعام والملبس والمسكن وفرصة العمل ، الإيمان المطمن للنفوس ، الايمان الذي يغذي الأمل والرجاء ، ويدفـع الى الابداع والبناء . ولا شك في أن هذا الايمان يمكن أن يصبح في متناول كل فرد من بني البشر اليوم بفضل انتشار وسائل التثقيف الحديثة . ولكن ذلك يتطلب جهوداً جبارة !

٦) إني أعتقد ان في الأديان السماوية ، وآخرها الاسلام (الذي جاء مكملاً ومنقحاً للاديان السماوية التي سبقته) من تراث روحي ، ومن فضائل مـــا يكفي لاسعاد البشرية ، فيما لو أخذ بتعاليمها الصحيحة. فالبشرية لا تحتاج إلى دين جديد ، ففي الأديان السماوية ما فيه الكفاية ، بل تحتاج الى نظرة جديدة الى الدين . هذا ، وإنى أعتقد بأن الدين الاسلامي وما حواه من فكرة ناصعة للتوحيد ، ومن واقعية ومثالية ، جدير بأن يكون دين الانسانية جمعاء . وسأوافيك برأيي في الاسلام في المـكاتيب القادمة ان شاء الله .

٧) إنك متحمس للتجديد والتغيير ، وهذا أمر طبيعي ، لأنك شاب تريد حياة جديدة ، أحسن من الحياة التي وجدت فيها ، ولكني أسألك هل إن

فضيلة الصدق ، مثلاً ، يجب ان تتغير ؟ وهل إن حب الحقيقة والسعي وراءها يجب ان ينتهي ؟ وهل إن محبة الأم لطفلها يجب ان تتوقف ؟ إن قلت لا ، ففي الحياة إذن أمور أساسية لا يجوز ان تتخلى عنهـا الانسانية . ومن هـذه قواعد الايمان والفضائل التي يدعو اليها الدين !

٨) إن العلم الحديث اليوم يسهّل كثيراً تَقَبُّل الأمور الغيبية في الدين . فلو تحدثت قبل مائة سنة عن الكهرباء واللا سلكي والراديو والتلفزيون ، لقابلك، السامعون بالضحك والسخرية . أما اليوم فكلنا نتمتع بوجودها . ونحن نؤمن بوجود الحياة ، ووجـود العقل والروح ، ولم نعرف ماهيتها بعد . فما الذي يمنعنـا عقلاً من الايمان بوجود الوحي والملائكة والشياطين والجن الخ ... مع تسليمنا بعدم إدراكنا حسياً لهذه الامور .

٩) إني اعتقد بأن الايمان هو أثمن شيء في الحياة ، وان الانسان لا يكون انساناً كاملاً ما لم يكن مؤمناً يمـــلأ قلبه الرحمة وحب الخير ، وحب الحق والجمال . وما العقل ، وما العلم ، وما التقدم المادي ، إلا وسائل يجب ان توضع في خدمة الايمان بالله الذي هو مصدر كل هذه النعم على الانسان .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . سلم على من يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٧ نيسان سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . فاتني ان أشكرك على عيديتــك لي في الكتاب المؤرخ ٢٠ آذار ، فاعترافك بالمنفعة العملية الناتجة عن إيمــاني هو خطوة طيبة . أما حريتك للسعي وراء الحقيقة ، فأنت حرّ ، بشرط أن تقترن حريتك بالصفاء والإخلاص ، وهــذا ما أسأل الله أن يمتعك به .

قلت لك بان الإسلام واقعياً يتكون من عقائد وعبادات ونظــام اجتماعي وأخلاق . أما المعتقدات فتتكوّن من الايمــان : بالله ، وباليوم الآخر ،

وبالملائكة ، وبالكتاب (القرآن) ، وبالنبيين . والأساس والغاية هـو الايمان بالله ، فمتى رسخ فإن نواحي الإيمان الأخرى تتبع . والبحث في الايمان بالله يتطلب الاجابة على سؤالين هامين : ١) هل للكون إله ؟ ٢) ما هي صفاته ؟ وهأنا أحاول الاجابة على السؤال الأول ببساطة :

١) إذا شاهدت بيتاً فخماً ذا حديقة غناء ، لا شك في انك تستنتج أن لهذا البيت من وضع تصميمه ومن قام ببنائه ، ومن يقوم بادارته ، ذلك بدون ان ترى المهندس ، أو المعمار ، أو صاحب البيت . فما بالك في هذا الكون العظيم ، وما فيه من سماوات وأرضين ، وما يحويه من عجائب المخلوقات ، وما عليه من دقة ونظام وترابط وانسجام بين الأجزاء . أنا لا أشك ان لهـذا الكون من مهندس أعظم ،

ومن مدبر ومسيِّر هو الخـــالق الأعظم : الله رب العالمين !

٢) إن عـــلم الفلك وما يبتنى عليه من قوانين رياضية وحسابات مضبوطة لحركات الأجرام السماوية . وما يكتشفه الراديو - تلسكوب اليوم من نشوء كوني مستمر ، ومن مسافات فضائية تقـــاس بمئات ملايين السنين الضوئية . وما في الكون من اشعاعات يبحث عنها العلم اليوم ، كل هذه تجعلني أومن بأن للكون إلهاً ، وانه ليس وليد الصدفة .

٣) إن علمي الفيزياء والكيمياء ، ومـــا توصلا إليه من اكتشاف لتركيب الذرة ، وما تحويه الذرة من قوى هائلة . إن تركيب العناصر الكيمياوية وتفاعلاتها . إن الكهرباء والحرارة ، وما قدماه من خدمات للانسان . والمغناطيس واشعاع الراديوم ،

وأشعة إكس ، وغيرها من القوى . ان القوى الميكانيكية والصوت والضوء وتكوينهما وسرعتهما . كل هذه تجعلني أعتقد ان لهذه الظاهرات الطبيعية وقوانينها خالق ومدبر .

٤) إن الحياة وظهورها على الكرة الأرضية ونشوءها وتطورها من نباتات وحيوانات عجيبة تعد بعشرات الألوف من الأنواع ، وطرق تكاثرها وانتشارها ، وتكيفها للمحيط ، تدل على وجود خطة في الكون مترابطة متفاعلة بين الأجزاء. بذرة تسقط في التراب يسقيها المطر فتنبت . الرياح أو الحشرات تلقّح الأزهار . الذكر والانثى يتجاذبان ويتناسلان لإدامة النوع وتطوير النوع . لكل هذه خطة كونية لها مصمم .

٥) إن الغرائز في الحيوانات من حشرات الى

اسماك الى طيور تعطيني أقوى دليل على وجـــود الخالق الأعظم. من علَّمَ النحل صنع الخليَّة، وصنع العسل، ومن دلَّه على الأزهار؟ من جعل النمـــل يتحمل العمل الشاق، ومن علَّمَه أسلوب الإدخار؟ من علَّمَ العنكبوت نسج البيوت؟ ثعبـــان البحر (Eel) تسافر آلاف الأميال من البحار الجنوبية إلى البحار الشمالية، فتضع البيض ثم تعود الى المناطق الجنوبية. وبعد ان يفقس البيض، من يخبر الفراخ اين موطن نوعه، فيهتدي إليه؟ من علَّمَ الطيور الأسفار من الشمال الى الجنوب شتاءً، والعكس صيفاً؟ ومن علَّمَ الطير الطيران، وجهزه بالأعضاء الملائمة لذلك؟ طير صغير يدخل في فم التمساح، فينظف له أسنانه. الطير يتغذّى والتمساح يرتاح. من أوجد هـــذه العلاقة؟.

٦) إن علم الوراثة وبحثه عن الكروموسومات وما تحويه هذه من (جينات) تمثل الخصائص الفردية للوراثة يكون اكتشاف سرّ عظيم من أسرار الطبيعة. فكيف لا أؤمن بمن أودع الأسرار الحياتيـــة في الكروموسومات ؟

٧) إن جسم الانسان وعجائب تركيبه : فالدماغ وأسلاكه المعقدة التي تترأس الجهاز العصبي ، والقلب وعضلاته النابضة التي تنظم دوران الدم . والطعـــام واستحالته في جسم الانسات في جهاز هضمي دقيق ، والعضلات وفعاليتها يجعلني أفكـــر في خالق الكون الأعظم .

٨) نفس الانسان وما تحويه من قابلية تفكير واختراع وإبداع ، ومن قابلية اختيـــار وتصميم ، وما تبديـــه من عواطف شريفة ، كحنان الأم ،

وحب الوطن ، ومن حب وتقدير للجمال : جمـــال الطبيعة ، جمال الألحان ، جمال البيان ، جمال الرسم والصورة : سَوَّاها الخالق الأعظم .

٩) إن نشوء الفرد في رحم أمه وحمله وولادته وحنوها عليـــه في طفولته ، ثم شبابه وشيخوخته ، ثم وفاته، كلها خاضعة لخطة مرسومة . ثم نشوء الانسان اجتماعياً ، وتكوين الأقوام واللغات ، وما أوجده الانسان من مدنيات واختراعـــات ، ومن نظريات وفلسفـــات اجتماعية ، ومعتقدات . ثم انقراض المدنيات وقيام غيرهـــا مكانها . كلها خاضعة لخطط كونية لا يزال الانسان يسعى لمعرفتها .

١٠) للكون مصدر للخير والرحمة والحق والحبّ والجمال ، ودافع للانسان للسير في طلب الكمال . وفي الكون ملجأ للانسان في الشدائد ، وفي المحن ،

في الامراض ، في الاهوال السماوية والارضية ، وفي المصائب . وهذا الملجأ يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين ، ويزودهم بالرجاء .

هذه بعض الادلة التي تجعلني أؤمن بوجود قصد كوني ، وتصميم كوني واضعه خالق الكون الاعظم . فهو خالق الأكوان ومسيّرها الله رَبُّ العالمين . وإني اعتبر الايمان اكبر نعمة للانسان ، فلا المادية ، ولا اللاأدريّة ، ولا التشكيك تستطيع ان تحجب نور الايمان عن قلبي ، ان شاء الله !

اني انصح لك ولأمثالك من شباب المسلمين ، ان تستزيدوا من دراسة العلوم ، ولا سيما الطبيعية منها ، فتدرسوها باخلاص وتعمق ، فإنها تقرب الانسان الى الله تعالى وتعرفه باسرار عظمته .

وأخيراً اقول : « ... الحمدُ لله الذي هَدٰينـــا لِهٰذَا وما كُنَّـــا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أنْ هَدَانَا الله ... » من الآية ٤٢ من سورة الأعراف الكريمة .

سلامي لمن يسأل عني من الاصدقاء والاساتذة .

واسلم لأبيك

فاضل

•

بغداد في ١٤ نيسان سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سررت كثيراً باستلام كتابك المؤرخ ٦ نيسان . إن ملاحظتك بان الكثيرين في بيروت يعرفونني من ايام التلمذة ، أو بعدها ، فيها شيء من الصحة ، لأني كنت أحب التعرف على الناس والاتصال بهم ، ولا سيما في العطل . اما حبي للموسيقى فهو قديم ، ولكن تعلقي بالموسيقى الغربية الخالدة ، بدأ في سنة ١٩٣٩ بصورة جدية . فقد كنت قبلها استمع اليها بدون اهتمام جدّي .

هنيئاً لك بالسباحة وبحضور الروايات التمثيلية ، وأرجو ان تعير الدرس الاهتمام الأول . أما عن

إجابتك على آرائي ، فإني لم اكتب لك لتجيب على ما اكتب ، بل لتطلع على وجهة نظري ، وتفكر لنفسك لتجد سبيل الهداية . على انني اكون مسروراً بتلقي نتيجة تفكيرك الناضج ، ليس بقصد الدخول في جدل ، ولكن بقصد الاستفادة من آرائك . وعلى كلٍّ ، فإن شئت التعليق على آرائي ، فأُجل ذلك حتى أنتهي من إرسال آرائي لك .

ذكرت لك باختصار في كتابي السابق لماذا أؤمن بوجود الله العظيم إيماناً خالصاً نقياً ، إن شاء الله . أما السؤال الثاني المتعلق بالإيمان بالله تعالى ، فهو ما هي ذاته وصفاته ؟

لا بد لي من الاعتراف ، بكل خشوع وإجلال ، بعجزي التام عن إيفاء هذا الموضوع حقه ، ومع ذلك فسأتناوله ببساطة وإيجاز . فقد خاض في هذا

الموضوع الفلاسفة والعلماء من ابناء الاديان المختلفة ، فنسبوا لله تعالى اوصافاً تصوروها على قـدر عقولهم وحسب معتقداتهم الفلسفية ، أو الدينية . وأصدق الفلاسفة ، في نظري ، هم أولئك الذين اعترفوا بعجزهم عن إدراك ذات الله ، فاكتفوا بالقول : « مَنْ لا يُمكِنُ إدْرَاكُ كُنْهِـهِ » ، مثل : هربرت سبنسر ، وجورج سنتيانا . فالعقل البشري يستطيع بهداية الله ان يؤمن بوجود الله تعالى ، ولكنه يعجز عن تعريف ذاته . فاللغة البشرية تقصّر في هذا المضمار وتعجز عن ذلك . والعقيدة الاسلامية ، في نظري ، هي غاية ما توّصل اليه البشر من نشوء روحي ، فهي تصحـح وتنقح ما سبقها من المعتقدات الدينية ، كما انها تفاعلت في بغداد والاندلس مع آخر ما توصلت اليه الفلسفة اليونانيـــة . وهأنا أحاول أن أوجز لك بعض ما

توصلت اليه من نشأتي الدينية ، ودراستي وتفكيري في الموضوع :

١) إنه سبحانه واجب الوجود : موجود من غير مُوجِد . فهو الذي أوجد الاكوان · ولم يوجده أحد . إذ لو كان أوجده أحدٌ لاحتاج المُوجِد إلى مُوجِد قبله . وهذا الى مُوجِد قبله ، الى ما لا نهاية له ... ولذلك فالله تعالى هو المُوجِد الأول ، ولذلك يسميه علماء الكلام « واجب الوجود » : « ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم خالِقُ كلِّ شَيْءٍ ، فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلى كلِّ شَيْءٍ وَكِيل » . (سورة الأنعام : ١٠٢)

٢) إنه سبحانه أزليّ ، أي كان موجوداً قبل ان تُوجَد الخليقة ، وأبديّ ، أي يبقى الى الابد وبعد ان تفنى الخليقة : « هو الأَوَّلُ وَالآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم » (الحديد : ٣) .

٣) إنه سبحانه غير محدود ، فلا يحدُّه زمان أو مكان ، إنَّه لا يَحِلُّ في شيءٍ ، وَلا يَحِلُّ فيهِ شيءٍ . لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان، فهو في كل مكان: «. وهو مَعَكُم أَيْنَمَا كُنْتُم .. » (الحديد : ٤) وهو بالنسبة للانسان «... أقرَبُ إليْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد » (سورة ق : ١٦) .

٤) إنه واحد أحد ، لا شريك له ، ولا مثيل ولم يتخذ صاحبةً ، ولا ولداً . إذ لو تعددت الآلهة لكان كُلٌّ محدوداً ، ولو كان محدوداً لكان حادثاً ، أي مخلوقا ، لا خالقاً . ولو تعددت الآلهة (لعـلا واحد على البقيـة ، أو لتساووا) ، ولاضطربت شؤون السماوات والأرضين : « لَوْ كانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ... » (الانبياء : ٢٢) .

« قُلْ هُوَ اللهُ أَحد . اللهُ الصَّمَد . لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَد ، وَلَمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أَحد » (الإخلاص).
والتوحيد أهمّ ميزة للعقيدة الاسلاميـة . وتوحيد

الخالق أمر أساسي لإدراك الوحــدة والارتباط في القوانين الطبيعية في الكون ، وفي القوانين الاجتماعية المؤدية الى الوحدة والإخاء بين البشر .

٥) إنه سبحانه لا شبيه له ، فهو ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، كما انه ليس مركّباً ، ولا يتجزأ ، ولا يتخذ شكلاً قابلاً للتصوّر . وكل مــا يتصوره الانسان يكون محدوداً خَلَقَهُ فكر الانسان ، والله سبحانه جلّ عن ذلك . ولذلك قيل : « كُلَّمَا خَطَرَ بِبَالِكَ ، فهو مُنَزَّهٌ عن ذلك » . وجاء في القرآن الكريم : « ... ليس كَمِثلِهِ شَيء » (الشورى ١١). وما ورد في القرآن الكريم في حقه تعالى من اوصاف قد يظهر أنها مادية ، أو بشرية (انثروبومورفية) ، فهي من قبيل الاستعارة والمجــاز (في علم البلاغة) فحين نقرأ « الله نور السموات والارض » ، فالمقصود

ليس النور المادي الذي نعرفه . وحين نقرأ « الرحمن على العرش استوى » . فليس المقصود أن هنـــاك عرشاً جلس عليه سبحانـــه . فالوجود كله عرشه ، واستوى معناها استولى . وحين نقرأ « يدُ الله فوقَ أيديهم » ، فليسَ معنى ذلك ان لِلهِ تعالى « يد » ، وإنما المقصود قدرته فوق قدرتهم . والخلاصة إن الانسان ليعجز عن تصور ذات الله بفكره ، وطوبىٰ لمن رآه بقلبه !

٦) إنه سبحانه : حيّ ، قيُّوم ، فعَّال لما يريد ، على كل شيء قدير . لا يعتريه تغيُّر ، أو مرض ، أو نوم ، أو موت : « اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحي القَيُّوم ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ... » (البقرة : ٢٥٥) . « وَتَوَكَّل عَلى الحيّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّح بِحَمْدِهِ ... » (الفرقان ٥٨) . « لَهُ مُلْكُ السَّمٰوات

وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِير »
(الحديد ٢) .

٧) إنه سبحانه : عليم ، خبير ، حكيم .

فَهُوَ « يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ ، وَمَا في الأَرْضِ ، وَيَعْلَمَ مَا تُسِرُّون وَمَا تُعْلِنُون ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور » (التغابن : ٤) .

إن الله سبحانه بعلمه وإرادته وقدرته خلق السموات والأرض ، وفي نواميس طبيعية وضعها ، وخلق في الانسان القابلية للسعي لاكتشاف هذه النواميس والتمتع بثمارها .

٨) إنه سبحانه : رحيم ، غفور ، لطيف ، عادل:

... « وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » (الاعراف ١٥١) « قَالَ سَوفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُم رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم » (يوسف : ٩٨) ... « إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ

خبيرٌ » (الحج ٤٣) . « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَل مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » (الزلزال ٧ و ٨) .

٩) إنه سبحانه : سميعٌ بصير : ... « إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِير » (لقمان ٢٨) . « لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ ، وَهُـوَ اللَّطِيفُ الخَبير » (الانعام : ١٠٣) . وقد قيـل : لَا يَشُذُّ عَنْ سَمْعِهِ صَوتُ دَبِيبِ النملةِ السَّوداءِ في اللَّيلَةِ الظَّلماءِ على الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ » .

١٠) إنه سبحانه الحقّ : « ذلك بأنَّ اللهَ هـو الحقّ ، وإنَّ ما يدعونَ من دُونِهِ الباطلُ ، وأنَّ اللهَ هو العَلِيُّ الكبير » (لقمان : ٣٠) .

هذه بعض صفات الله تعـالى ، ويجب ان لا تفهم هذه الصفات بمعناها البشري المادّي المحدود ،

فهي ليست طارئة على ذات الله تعالى ، بل هي صفات ذاته . والحمد لله ربّ العالمين .

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

قد يصلك المكتوب حوالي عيد ميلادك . كل عام وانت بخير ! وسعادة ! وموفقية !

*

بغداد في ٢١ نيسان سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . لم يصلني كتاب منك هذا الاسبوع بعد . أما أنا فأكتب لك على العادة . صحتي جيدة والحمد لله ، ولا زلت مثابراً على المطالعة والعبادة .

كتبت لك في الكتابين الماضيين عن إيماني بالله تعالى ، وعن ذاته وصفاته . وهأنا اليوم أكتب عن إيماني بالاركان الأخرى للعقيدة الاسلامية :

١) الايمان باليوم الآخر : إني مؤمن بالبعث بعد الموت ، وبالحساب في اليوم الآخر ، وليس عندي دليل حسيّ على ذلك ، إذ لم يرجع أحد من الأموات

ليخبرنا عما يجري للانسان بعد الموت . ولكن إيماني هذا تابع لإيماني بالله وحكمته وعدله . فإن عقلي يحدثني بأن ليس من اللائق بأن تنتهي حياة الانسان القصيرة على الكرة الأرضية ، وينتهي معها كل شيء ، فلا بد هناك من حياة أخرى يجني فيها الانسان ثمار ما يغرسه في هذه الحياة . هذا وإن الحياة بعد الموت هي الرجاء الحقيقي للرجل الصالح في هذه الدنيـــا . وبدونها تصبح هذه الحياة ، وكأنها « دربونة عمياء » : لا معنى فيها ، ولا هدف لها . إذن فالإيمان بالحياة بعد الموت ، يعطي الفرد امـــلاً لا حدّ له . كما أنه يحفز الانسان على عمل الخير ، ويردعه عن عمل الشر ، وذلك إيماناً منه بأنه سيحاسب يوم القيامـــة على كل عمل قام به في هذه الدنيـــــا . « فَمن يعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ، ومن يعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ » (سورة الزلزال ٧ و ٨) . ولحسن حظ البشر ، إن

الله سبحانه يغفر للمسيئين الذين يتوبون ويستغفرون ربهم : « والذين عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ، ثمَّ تابوا مِن بعدِها وآمنوا إن رَبَّكَ لَغَفورٌ رَحيم » (الأعراف ١٥٢).

إن البعض ممن لا يؤمنون باليوم الآخر ، يستكثرون على الله تعالى ان يعيد الخلق من جديد. أما أنا فأؤمن بما جاء في القرآن الكريم ، بأن الله الذي خلق هذه الأكوان ، لقادر على ان يعيد خلقها ، أو ان يبدلها بخير منها ، وان الذي خلقني في وسعه ان يعيد خلقي . « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ، قُلْ بَلىٰ وَرَبّي لَتُبْعَثُنَّ ، ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ ، وَذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ » (التغابن ٧) .

٢) <u>الايمان بالملائكة والرسل</u> : إني أؤمن بأن الله سبحانه ، فضلاً عن منحه الانسان العقل والإدراك فقد بعث من البشر رسلاً يرشدونهم الى عمل الخير

ويردعونهم عن عمل الشرّ ، ويعرّفونهم بواجباتهم نحو خالقهم . وهؤلاء الرسل هم أصفياء خلق الله . فهم أناس يتفوقون على سائر الناس ، في صفـــاء ذهنهم وحدّة ذكائهم ، وقوة إيمانهم . والنبي ينزل عليه وحي من الله بواسطة رسول روحي من الملائكة يبلغـــه رسالات ربـــه ، فيقوم النبي بتبليغها للناس . ومن الأنبيـــاء العظام الذين نزل عليهم الوحي : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمـــد (عليهم السلام) ، والمَلَكُ الذي حمل الوحي الى نبيِّنا هو جبرائيل (عليه السلام) وليس في هذا ما يصعب الايمان به ، فالنبي رجـــل ممتاز من الناس يأتيه الوحي ، والملاك هـــو كائن روحي لا نعرف ماهيته ، ولكننا نصدق بوجوده اليوم بسهولة بعـــد ان شاهدنا حسيّاً المواصلات اللاسلكية والتلفزيون : « اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ ، إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِير » .
(الحج ٧٥) .

لا شك في أن الله سبحانه شَرَّفَ الأمّة العربية بأكبر شرف ، ان بعث منها خاتم الأنبياء ، النبي الأميّ العظيم ، محمد بن عبدالله (عليه الصلاة والسلام) . ومما يدل على عظمته وصدق نبوّته ، أنه كان أُمّيّاً ، لا يقرأ ولا يكتب . فلولا القدرة الالهية ، ولولا الرسالة السماوية ، لما استطاع رجل أُمّي بأن يحمل رسالة الاسلام العظيمة ، وأن يقود شعباً من اكثر الشعوب تفرّقاً وتأخراً ، ويُحَمِّلَهُ رسالة القرآن الكريم . أليست هذه معجزة إلهية ؟ أليس هو الايمان بالله الذي يفعل العجائب ! فهل من عاقل منصف يتردد في الاعتراف بنبوّة هذا النبي الأمّي العظيم : « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِم ، وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِين » (الجمعة : ٢) . ليتَ شعري ، أين العرب اليوم من حمل هذه الرسالة ؟ الرسالة التي أوجـــدت لهم تاريخاً وكياناً ما كانوا يحلمون به لولاها ؟

٣) <u>الايمان بالكتاب</u> : إني أؤمن بأن القرآن الكريم نزل على محمد (عليه الصلاة والسلام) ، وأنه يحوي كل ما جاء به الإسلام من قواعـــد أساسية للإيمان والعبادات والنظام الاجتماعي والأخلاق .

هذا ومع ان القرآن العظيم نزل بلسان العرب مخاطبـــاً إياهم بلغتهم وعقليتهم في ذلك العصر ، إلا أنه جاء حاوياً لكل القواعد الروحية والخلقية للانسان في كل العصور . ففيه تحليل لأخلاق الانسان وعقائد الانسان في شعوب مختلفة ، منها بنو اسرائيل ، وما

يعتور حياتهم من امراض روحية وخلقية واجتماعية ، تعالج بالإيمان . فالاسلام لم يأتِ للعرب وحدهم ، بل للبشرية جمعاء : « قُلْ يا أيُّهَــا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعاً ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرضِ ، لَا إلَهِ إلَّا هُوَ ، يُحْيِي وَيُمِيت ، فَآمِنوا بِاللهِ ورَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّي الَّذِي يُؤمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِــهِ ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تَهْتَدُون » (الاعراف ١٧٥) .

هذا وإنَّ القرآن الكريم يحوي من البلاغــة والحكمة ، ومن الأسرار الروحية والمحاكمات المنطقية القصص والأمثال ، والمشاهدات الطبيعية والعظات الأخلاقية والاجتماعية ، ما يجعله أغنى كتــاب في الوجود . فهو بحق كتاب الله . وهــو معجزة النبي الأمّي ، فقد عجز الأدباء والبلغاء والحكماء على ان يُقَلِّدُوه كلاً او بعضاً : « قُل لَئِن اجتمعتِ الإنسُ

والجنُّ على أن يَأتوا بِمثلِ هــذا القُرآنِ ، لا يَأتون بِمثلهِ ولَو كانَ بعضُهُم لِبعضٍ ظَهيراً » (سورة اسرى ٨٨) .

إنني أقرأ القرآن الكريم للمرة الخامسة والثلاثين منذ دخلت المعتقل ، ولا زلت في كل قراءة اكتشف من الحِــكَمِ والأسرار ما لم انتبه إليه في القراءات السابقة ، فالتمتع بنعمة القرآن يتطلب المثــابرة على تلاوته ، كما يتطلب معرفة جيدة لقواعد اللغة العربية وعلوم بلاغتها . فللبيان القرآني جمال وجلال لا يدانيه أسمى ما جاء به العرب من سحر البيان .

هذه هي العقائد الاسلامية الأساسية : الإيمــان بالله ، وباليوم الآخر ، وبالملائكة والرسل والكتاب. قد وصفتها لك ، كما افهمها ، بشكل بسيط بعيد عن التعقيدات الفلسفية والمجادلات البيزنطية ، فليست هذه

من طبيعة الاسلام الذي جاء سهلاً سمحــاً . ونسأله سبحانه الهداية والغفران . وله الحمد اولاً وآخراً .

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك

فاضل

يصادف اليوم عيــد ميلادك ، أتمنى لك عمراً طويلاً حافلاً بالخير والمسرات .

فاضل

•

بغداد في ٢٨ نيسان سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سرني كثيراً كتابك المؤرخ ١٧ نيسان ، لا سيما وقد اعاد إلي ذكريات ما قبل اكثر من ثلاثين سنة ، حـــين كنت اعقب المواضيع التي تدرسها الآن أنت . فدرس الفلسفة لذيذ للغـــاية ، ولكن المهم ان لا ينسى الانسان الغاية ومن أنشأها عند بحثه عن الشجرة . إنني أؤمن بدرس العلوم الطبيعية واذهب فيها الى اقصى الحدود . أما الفلسفة الطبيعية المادية الميكانية ، فهي في نظري « دربونة عميـــاء » عجزت عن ان تفسر منشأ الحياة ، او ان تفسر منشأ التكيف العضوي ، أو الترابط والانتظام في العلاقات

الطبيعية . هل هي الصدفة ؟ ما هي الصدفة ؟ وهل للصدفة بصيرة وخطة ؟ اذا كان لها ذلك ، فقد نسبنا اليها القدرة الخفية ! ولذلك فقد نشأت مدرسة طبيعية حياتية يستطيع بواسطتها فيلسوف مثل هنري برغسن ان يفسر الطبيعة باضافة عامل غير ميكاني . انني بعيد العهد بدرس شرنكتن ، ولكني أنوي ، ان شاء الله الرجوع اليه ضمن منهج مطالعاتي . إني أكملت مراجعة تاريخ الفلسفة اليونانية والرومانية ، وبدأت بمطالعة تاريخ فلسفة القرون الوسطى . وسأصل قريباً (ان شاء الله) الى الجدل بين الغزالي وابن رشد ، وان كنت مطلعاً على بعض صفحاته . لم تخبرني عن الكتب التي تستعملونها في درس الفلسفة ، وهل تدرسون فلسفة معينة ، أم كل المدارس الفلسفية ؟ وهل تدرسون تاريخ الفلسفة . أم الفلسفة المعاصرة فقط ؟

كتبت لك سابقاً أن الاسلام يتكون من عقائد وعبادات ونظام اجتماعي واخلاق. ثم تناولت باجمال كلّي أسس العقائد الاسلامية . وهأنا اليوم أتناول « العبادات » ، وتسمَّى « الفرائض » عادة ، أي الأعمال الواجب على المسلمين القيام بها . فهي أفعال يقصد بها تغذية الروح ، فكما ان الجسم ينتعش وينمو بالغذاء المادي ، كذلك الروح ، فإنها تنتعش وتنمو بالعبادات . فهي تجعل الانسان يتجه بطاعة وخشوع الى الله تعالى ، فيكرس حياته في خدمة الله . واذا شبَّهنا إيمان الانسان بالشجرة ، فتكون العبادة هي الماء الذي يسقي الشجرة ، والغذاء الذي ينميها . أما الاخلاق والاعمال الصالحة ، فهي ثمرة الشجرة . واذا شبَّهنا الايمان بالبناء ، فالعبادات (الفرائض) تكون الأعمدة التي عليها يقوم البناء .

والفرائض في الاسلام تتكون من : ١) الصلاة ٢) الصوم . ٣) الزكوٰة (والى جانبها الخُمس) . ٤) الحج . ٥) الجهاد في سبيل الله . ٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهأنا اليوم أتنـــاول الصلاة والصوم والزكوة :

الصلاة : هي رياضة روحية بها يتقرب الانسان الى الله تعالى ، بعد ان يتطهَّر روحياً وجسديـــاً . يتطهَّر روحياً بأن يصفِّي قلبه ويطرد افــكار السوء عن ذهنه ، وجسدياً بالوضوء . وهاك خاطرةً سجلتها عن شعوري في الصلاة :

• الصلاة في الاسلام هي أغـــنى وأعظم رياضة وجدت في تاريخ حياة الانسان ، فهي رياضة روحية وفكرية وعاطفية وخلقية واجتماعية وجسمية في

وقت واحد . والمصلّي ينمو في كل هذه النواحي ، كلما نمت معارفه ومداركه » .

تصوّر شعور طالب العلم واتساع تفكيره ، اذا ردّد متأملاً : « الحمد لله رب العالمين » ، فهو شعور ينمو بنمو معرفة الانسان بالعوالم ، وما تحويه من عظمة وابداع ، فكلما زادت معارف الانسان ، كلما زاد شعوره بعظمة الخالق .

تصوّر نمو شعور الانسان بعاطفة الرحمة ، كلما ردّد صفات الباري عزّ وجلّ : « الرحمن الرحيم ».

تصوّر شعور المؤمن بالخشوع والرهبة المحفزين الى عمل الخير ، والرادعين عن عمل الشرّ بتذكّر يوم الحساب ، كلما تلا الآية الكريمة « مالِكِ يومَ الدّين » .

تصوّر الشعور بالقوة النفسية المتولدة من الايمان بالله والاعتماد على مساعدته حين تتلو : « إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَستعِين » .

تصوّر رغبــة المؤمن الملحة في اصلاح النفس وتنميتها بطلب الهداية من الله تعــالى حين يتلو : « إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستقيم ، صِراطَ الَّذِين أنعَمْتَ عليهِم ... »

أما تأدية فريضة الصلاة والمثابرة عليها ، بما في ذلك النهوض المبكر ، فمما يساعد على تنمية طاعـة الله تعــالى ، ويدخل النظام في حياة الانسان ، ويقوّي الإرادة .

أما حركات الركـوع والسجود ، فهي رياضة روحية تمثل الخضوع والخشوع لله تعالى ، عدا كونها رياضة جسمية متزنة .

أما صلاة الجماعة وصلاة الجمعة ، على الاخص ، ففيها تنمية للعلاقات الروحية والاجتماعية بين المسلمين لا تثمَّن .

فشكراً لله على نعمة الاسلام ! وشكراً للاسلام على نعمة الصلاة ! » انتهى .

« إنَّمَا الْمُؤمِنونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ، وإذَا تُلِيَت عَلَيهِم آيَاتُهُ زَادَتهُم إيماناً ، وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُون . الَّذِين يُقِيمُونَ الصَّلوٰة . وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يَنفِقُون » (الانفال : ٢) .

صوم رمضان : فيه رياضة روحية باطاعة الله وتقدير نعمه . ورياضة اجتماعية بالشعور مع الفقراء والمحتاجين ، وبالشعور بالترابط والوحدة والمساواة بين جميع المسلمين . ورياضة خلقية بتقوية إرادة الانسان على ضبط النفس . ورياضة جسديَّة بتعويد الانسان على تحمل الجوع والعطش . قال تعالى :

« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرقَان . فَمَنْ شَهِدَ مِنكُم الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ ، وَمَن كانَ مَرِيضاً أَو عَلى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَر . يُرِيدُ اللهَ بِكُم اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُم العُسْرَ ، وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ على مَا هَدَاكُم ، وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ » . (البقرة ١٨٥) .

رمضان شهر الطاعة والاستغفار .

الزَّكوَة : هي دفع الانسان نسبة من ماله سنوياً لينفق في سبيل الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والمحتاجين ، وفي سبيل الله وفكّ الرقاب الخ ... قال تعالى في بداية لقمان : « الٓمٓ ★ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ★ هُدًى وَرَحمَةً لِلمُحسِنِينَ ★ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَيُؤتُونَ الزَّكوٰةَ ، وَهُم بِالآخِرَةِ ،

هم يُوقِنُون » . ومعنى الزَّكوَة التطهير ، فالانسان يُزَكِّي ماله بدفع قسم منه .

الخمس : هو دفع عشرين بالمائة من غنائم الحرب ومما يحصل عليه من الكنوز ، او المعادن والغوص في البحر ، وأرباح التجارة : « وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ ، فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَللرَّسُولِ ، وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِين وَابنِ السَّبِيل... » (الانفال ٤١).

وبالزكوة والخمس يتعلم المسلمون التكافل الاجتماعي والتعاون الاقتصادي بشكل عادل معقول .

سلامي لمن يسألك عني من الاساتذة والاصدقاء.

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٥ ايار سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . لم يصلني كتابك هذا الاسبوع بعد . ويظهر ان مكاتيبك تأتي واحد كل اسبوعين . إنك لا تكتب اسبوعياً ، كما اتفقنا . أما اسامة ، فهذا الاسبوع الثالث ، ولم يصلني منه كتاب ، وأرجو ألا يكون ذلك بسبب حادث أو مرض . اني اعتقد ان الواجب يحتم عليكم ان تكتبوا بانتظام لكي لا تسببوا التشويش والقلق لوالديكم .

كتبت لك في الكتاب السابق عن « الفرائض » في الدين الاسلامي ، وانها ست : ١) الصلاة . ٢) الصوم . ٣) الزكوة . ٤) الحج . ٥) الجهاد .

٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأشرت باختصار الى الصلاة والصوم والزكوة .

وهأنا اليوم أتناول بايجاز كلّي : الحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١) حجّ البيت : « الكعبة » المُشَرَّفة هي بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، وهي قبلة المسلمين ، يتجهون إليها في الصلاة من كل أنحاء العالم . وقد بنى الكعبة إبراهيم وولده اسماعيل (عليهما السلام) : « وإذ يرفعُ إبرٰهيمُ القواعِدَ مِنَ البيتِ وَإسمٰعيلُ ، ربَّنا تقبَّل مِنَّا ، إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العليم » (البقرة:١٢٧).
« وَلِلهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ استطاعَ إلَيهِ سَبيلًا » (آل عمران ٩٧) . يجب على المسلم المستطيع أن يحج الى بيت الله الحرام مرّة في العمر ، على الأقل ، وذلك في شهر ذي الحجة من كل سنة (عيد الأضحي

المبارك) . ففي هذا العيد يجتمع المسلمون من كل أنحاء العالم ، وقـــد تجرَّدوا من ملابسهم وزينتهم ، ولبسوا إحراماً أبيض . لا فرق بين غني وفقـــير ، أبيض أو أسود ، ذكر وأنثى ، عربي أو أعجمي . فالناس كلهم سواسية يقومون بطقوس دينية موحدة ، يردِّدون جميعاً : « لَبَّيْكَ ! أَللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! لا شريك لك ، لَبَّيك ! » ثم يقومون بتقديم القرابين .

والحج في الحقيقة أكبر مؤتمر دولي إنساني يعقد على أساس روحي تَعَبُّدي ، فهـــو فضلاً عن أثره العميق في حياة الانسان الروحية وشعوره بالخشوع لله تعالى ، فإنه يوجد التعارف والتآخي بين المسلمين من مختلف أقطار العالم ، ويعلمهم تحمل مشاق السفر ويوسع أفقهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

٢) **الجهاد في سبيل الله** : هو استعداد المسلم بأن

يضحي بنفسه وبماله في سبيل الله ، وذلك لمكافحة الظلم والعدوان ، وردّ الاعتداء على البلاد الاسلامية . فالدين الاسلامي دين سلام ، وليس دين استسلام ، والمسلم يسترخص الروح في سبيل العزة والحرية . قال تعالى في سورة البقرة ١٩٠ : « وقَاتِلوا في سبيلِ اللهِ الَّذِين يُقَاتِلونَكم ، ولَا تَعْتَدُوا ، إنَّ الله لا يُحِبّ الُمعتدين » . هذا وإن الجهاد واجب كفاية ، أي إنه لا يكون واجباً إذا توفر عدد كافٍ من المحاربين ، وإلا فعلى المسلم أن يسارع في الانخراط في صفوف المحاربين . وهنيئاً لمن يستشهد في سبيل الله ! فقد جاء في سورة (التوبة ١١٢) « إنَّ اللّه اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ أنفُسَهم وَأموَالَهم بِأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ فَيَقْتُلونَ وَيُقتَلونَ وَعْداً عَلَيْه حَقاً في التَوْرٰيةِ وَالإنجِيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أوْفَي

بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيم » .

هذا وقـــد أمر الله المسلمين بالاستعداد والتهيؤ دائماً . إقرأ الآيتين الكريمتين ٦١ و ٦٢ من سورة الانفال : « وَأَعِدُّوا لَهم مَا اسْتَطَعتم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عدُوَّ اللهِ وَعدوَّكم وآخرِينَ مِن دُونِهم لَا تعْلَمُونَهم ، اللهُ يَعْلَمُهُم ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ في سَبيلِ اللهِ يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلَمُون★ وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجنَحْ لَها ، وتَوكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيم » .

ولو عمل المسلمون ، وعددهم خمسمائة مليون ، بروح الاسلام ، لما بقيت الأجزاء المحتلة في فلسطين يوماً واحداً تحت سيطرة الصهيونيين ، ولما استمرت

حرب الجزائر هذه المدة الطويلة ، ولمـــا بقي بلد اسلامي تحت سيطرة أجنبي .

ولا أعرف ديناً يحوي قواعد الحيـــاة الحرة الشريفة ، مثل الدين الاسلامي ! « إنَّمـــا الْمُؤمنونَ الَّذِينَ آمَنوا بِاللّهِ ورسُولِهِ ، ثمَّ لم يَرتَابُوا وجاهدوا بِأموالِهم وأنفُسِهِم في سبيلِ اللهِ ، أولَئِكَ هُم الصَّادقون » (الحجرات ١٥) .

٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يجب على المسلم أن يحضّ اخوانه المسلمين على عمـــل الخير ، وتأدية الواجبات الدينية والانسانية ، كما ان عليـــه أن ينهاهم عن الإتيان بالمفاسد والموبقات ، فكل منا يجب أن يكون تلميذاً ومعلماً في الوقت نفسه . ويجب استعمال الحكمة وحسن التصرف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فما أسعدَ المجتمع اذا

ساد فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا شك في أنه يكون مجتمعاً خيِّراً . جاء (في لقمان ١٧) : « يا بُنَي أَقِمِ الصَّلوٰة وَأْمُرْ بِالَمعروفِ وَانـــهَ عَنِ الْمنْكِـرِ وَاصْبِرِ عَلى مَــا أَصابَك ، أنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزمِ الأُمور » .

هذه هي الفرائض في الاسلام ، وكلهـــا ذات نفع عميم ، وأثر عميق في حياة الانسان الروحيـــة والاجتماعية . وكلهـــا تتكيَّف حسب الاستطاعة والظروف الصحية « يريد الله بـــكم اليسر ولا يريد بكم العُسر » . إذن فإهمال بعض الشباب المسلم احياناً للفرائض الدينية ، هو مرض طارىء سببه التراخي والجهل والتقليد الأعمى للأجانب ، ولا سيما الماديين الملحدين منهم .

اللهم : « أهـــدِنا الصراطَ المُستقيم ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ، غـير المَغضوب عليهم ، ولا الضَّالين . »

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

●

بغداد في ١٢ مايس سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سررت كثيراً بكتابك المؤرخ ١ مايس ، وأشكرك على تمنياتك الطيبة لي بمناسبة يوم ميلادي . أما عن كتابتي الك ، فهي تخدم غرضين أساسيين : الأول هو تعريفك بوجهة نظري وأفكاري في الشؤون الدينيـة التي لم استطع ، فيما مضى ، أن أعرّفك بها بصورة منتظمة ، ومن واجبات الأبوة أن أعرّفك بتراث أمتنا الرّوحي . والهدف الثاني هو وجود فرصة لي كما قلت لأرتّب أفكاري التي أعيش فيها منذ نشأتي الأولى ، وفي خلال أكثر من أربعين سنة من احتكاك بالحيـاة الحديثة . وأستطيع أن

أقول لك بأن ثقافي الغربية لم تُضعِفْ ، والحمد لله ، قواعد إيماني ومعتقداتي ، بل بالعكس ، فكلما توغلت في الدراسة النظرية والعملية ، كلما ثبت لديّ أكثر فأكثر صحة معتقداتي الاساسية ، ولا سيما إيماني بالله تعالى ورسالة نبينا محمد ، عليه الصلاة والسلام .

لا أتذكر انني قلت لك بأني أميل الى السلفية او الاشعرية ، ولا أعتقد ان هذا ينطبق عليّ . فأنا مسلم بسيط لا أكثر . ولا اعتقد أن في السلفية مع احترامي لهم استعداد لتقبل آراء الغير والسماح بحرية الفكر بقدر ما أنا استسيغ . أنا مؤمن ، ولكن إيماني يدعو الى البحث العلمي ، ولا سيا في حقل العلوم الطبيعية ، والبحث الاجتماعي ، وقبول فكرة التطور ، باعتبارها كلها من إرادة الله تعالى

ومشيئته في تمشية الكون . ثم إني أؤمن بالحريـــة الفكرية ، ايمانـــاً عميقاً بشرط ان تقترن بالنزاهة الوجدانية . أنا لا أتردد في قبول أحسن ما جاءت به مدنيات الشرق والغرب ، من ثقافة علمية وروحية . ومن انتاج مادّي ومعنوي ، بل أدعو الى ذلك بكل قـــوة ، ولا اعتقد ان السلفية يتفقون معي في كل هذا !

قلت لك إن الدين الاسلامي يحتوي على عقائد وفرائض ونظام اجتماعي وأخلاق . وقد أشرت في مكاتيبي الأخيرة الى أسس العقائد والفرائض ، بإيجاز كلّي . وهأنا أتناول النظام الاجتماعي في الاسلام ، بإيجاز كلّي ، وهو موضوع واسع كتبت فيه ألوف المجلدات ، فلا أنوي اكثر من إعطائك بعض المواضيع التي تعرفك بالاتجاه العام في الاسلام ولك المجـــال

الواسع للدرس والتتبُّع اذا رغبت في ذلك . وقبل ان ابدأ بالبحث أود ان اضع امامك الحقائق التالية :

١) جاء التشريع الاجتماعي الاسلامي في مجتمع متأخر ومتنسخ فكان كثورة اصلاحية اجتماعية خطيرة .

٢) التشريع الاسلامي واقعي عمليّ تطوّري ، فهناك بعض الأحوال الاجتماعية لا يمكن تبديلها بين ليلة وضحاها، فلذلك نجد قواعد وتشريعات جاء بها الاسلام لوطبقها المسلمون بدقة لاستمر مجتمعهم على التطور والتقدم .

٣) في التشريع الاسلامي ثروة عظيمة وتفكير عميق يفوق في ثروته أي تشريع آخر عرفته البشرية . ولقد شهد بذلك كثيرون من مشرعي الغرب ، وما قيام الدكتور عبد الرزاق السنهوري بوضع القانون

المدني في العراق ومصر على اسس التشريع الاسلامي إلا برهان على حيوية التشريع الاسلامي .

٤) إن « الاجتهاد » في التشريع اذا قام به علماء دين يفكرون تفكيراً عصرياً ويدرسون العلوم الحديثة ، هو وسيلة لنمو ورقي المجتمع الاسلامي . ولكن الاجتهاد في الوقت الحاضر يكاد يكون عديم التأثير في تطوير الحياة الاسلامية ، بسبب عدم مجاراة رجال الدّين لأحوال العصر وعدم درسهم المشاكل الناتجة عن الحياة الحديثة . وهذا ما سبب تخلفاً في الحياة الاجتماعية الاسلامية ، وجعل المجتمع الاسلامي منشطراً إلى متدين غير تقدمي وتقدمي غير متدين . وما نريده ، هو مجتمع متدين تقدمي .

٥) لا حاجة للقول بان المجتمع الاسلامي اليوم يغلب عليه التأخر والجمود ، وسبب ذلك يرجع إلى

(١) الجهل (٢) والتعصب الذي يخنق الحرّية الفكرية (٣) والأنانية التي تجد في الجمود مركباً يوصل إلي الاطماع والأغراض الزائلة.

٦) إن جمود المسلمين وتأخرهم سبب تسلّط الاستعمار الغربي عليهم، وهـــذا مما زاد في تفسخهم وجمودهم. أما اليوم قد تحررت معظم البلاد الاسلامية فالمجتمع الاسلامي معرّض لغزو عقائد مادية ظاهرها جذاب وفي باطنها العذاب. ولذلك فيحتاج المسلمون في نظري إلى عقد مؤتمر من كل اقطارهم يجمع بـين علماء الدين ورجـــال الفكر الحديث ليتشاوروا في وضع قواعد جديدة لانعاش المجتمع الاسلامي وإعادة الحيوية إليه.

طبعة المجتمع الاسلامي : إن المجتمع الاسلامي وجد على أساس محاربة التفرقة العنصرية والعصبية القبلية،

ونشر التقوى والخير والتعاون والإخاء بين المسلمين.
إليك الآيات القرآنية الكريمة في هذا الباب :

« يا ايها الناسُ إنا خَلقْنا كُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأنثى وَجعلنا كُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكرَمَكُمْ عند اللهِ اتقيكم ... » (الحجرات ١٣)

« إنما المُؤمِنُونَ إخوَةٌ فَأصلِحُوا بينَ أخوَيْكم وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون » (الحجرات ١٠)

« ولتَكُنْ مِنْكُمْ أمةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْر وَيأمرونَ بالمعروفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ المُنْكر وَأولئكَ هُمُ المُفلِحُون » (آل عمران ١٠٤)

« ومن آياتِهِ خلقُ السمٰوات والأَرضِ واختِلافُ السِنَتِكُمْ والوانِكُمْ إنَّ في ذلِك لآياتٍ للعَالِمين » (الروم ٢٢)

« ... وَتَعاوَنُوا على البِرِّ والتقوىٰ ولا تَعاوَنُوا عَلى الإثمِ وَالعُدْوانِ ... » (المائدة ٣)

هذا ومنزلة سلمان الفارسي وبلال الحبشي معروفة في صدر الاسلام حتى إن النبي عليه السلام قال : « سلمانُ مِنّا اهل البيتِ » . هذه هي المساواة والأُخوة الحقيقية ! اخوة العقيدة والإيمان !

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

الجماعة هنا وفي مقدمتهم ابو عوض يسلمون عليك .

بغداد في ١٩ مايس سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . أشكرك على كتابك المؤرخ ٨ مايس الذي تخبرني فيه عن درس الفلسفة ومحتوياته. هذا ولم يسبق انك ذكرت هذه المعلومات عن هذا الدرس من قبل ، فإنك لم تجب على اسئلتي فيما مضى. أنا اشترك معك في عدم الاكتراث بالامتحان ليلة الامتحان ، فإن كنت قد سعيت خلال السنة ، فلا خوف عليك ، وإن كنت مهملاً خلال السنة ، فما تأثير الاهتمام ليلة الامتحان ؟ برودة الدم أفضل علاج للامتحان ! هذا على شرط تنظيم الحياة اليومية

وإعطاء الدرس ما يتطلبه من الوقت يوميـاً ! هأنا أستمر على بحث الإسلام كنظام اجتماعي :

١) قيمـة الفرد في الاسلام : إن المقياس الذي يقاس به أي نظام اجتماعي من حيث رقيه أو انحطاطه، هو نظرته الى الفرد. فهل للانسان قيمة في النظـام الاجتماعي ؟ وهـل الفرد محترم ؟ أم أنه آلة صماء مسخّر ، لا حرية له ولا إرادة . أم أنه (أي الفرد) بهيمة حرّة ، لا تختلف عن الحيوانات التي تتمتـع بشهواتها وتتكالب ، كالوحوش الكاسرة . ان الدّين الإسلامي يكرّم الفرد ، ويعتبره خليفةً في الأرض فيما إذا عرف الانسان واجبه ، فقام بادائه على الوجه المطلوب. إن الله سبحانه وتعالى حين خلق آدم قال : « وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائِكَةِ إنِّي جاعِلٌ فِي الأرضِ خَليفَة ... » (البقرة ٣٠) . ثم اقرأ مَعِي الآيــة

(٧٠) من سورة الأسراء « وَلَقَد كَرَّمْنا بَني آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ في البَرِّ وَالبَحْرِ ، وَرَزَقناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ، وَفَضَّلناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنا تَفضِيلاً » . ثم اقرأ: « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائِفَ الأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُم فَوْقَ بعضٍ دَرَجات لِيَبْلُوَكُمْ فيما آتيكم ... » (الانعام ١٦٥) .

٢) والمسؤولية في الاسلام : فردية واجتماعية

فكل منا مسؤول عن نفسه وعن اعماله كما أنه مسؤول عن صلاح مجتمعه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر « وكُلَّ إنسانٍ الزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ ونُخْرِجُ لَهُ يومَ القِيٰمَةِ كتاباً يلقيٰهُ منشوراً ★ إقرأ كتابك كفىٰ بنفسِكَ اليَومَ عليكَ حسيباً ★ من اهتدى فإنما يهتدي لِنفسِه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تَزِرُ وازِرة وِزْرَ أخرىٰ ط وما كنا مُعذّبين حتى نبعثَ

رسولاً * واذا اردنا ان نُهْلِكَ قَريةً أمرنا مُتْرَفِيها فَفَسقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيها القولُ فَدمّرناها تدميراً » .
(أسرىٰ ١٣ ـ ١٦) .

٣) العائلة في الاسلام : يُعْنىٰ الاسلام بالعائلة عناية فائقة، فقد اعترف بكيان المرأة وحدد تعددالزوجات، بل وضع الأسس لمنع التعدد ، ثم منع قتل الاطفـال ولا سيما البنات واوجب التعاطف والتربية بين افراد العائلة ، كما اعتبر الطلاق علاجاً اضطرارياً اذا تعذر الاصلاح والتصالح بين الزوجين وضمن العناية بالطفل في حالة الطلاق . ثم إن الاسلام حرّم الزواج في داخل الاسرة كالزواج بالأم والاخت والعمة والخالة والأم بالرضاعة الخ... ثم إن الاسلام وضع قوانين للإرث وأوصى كثيراً بالعناية باليتيم وعـدم التعرض لمال اليتيم إلا بالحسنى . هاك بعض الآيات البينات :

« ومن آياتِه أنْ خلَقَ لكُمْ مِنْ أنفُسِكم أزْواجاً لِتَسكُنوا إليها وَجَعَل بَيْنَكم مَودَّةً ورَحْمَةً ط ... (الروم ٢١) .

« وَوَصّينا الانسان بوالديه حملته أُمّه وَهْناً على وَهْنٍ وفِصالُهُ في عامينِ أنِ اشْكُرْ لي ولِوالِدَيْكَ ط إليَّ المصير » (لقمان ١٤) .

« وَاخْفِضْ لهما جَناحَ الذُلّ من الرَّحمةِ وقُل: رَبِّ ارحمهما كما رَبّياني صغيراً » (سورة أسرى ٢٤).

« ولا تقتلوا أولادَكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنَ قتلهم كان خِطأً كبيراً » (سورة أسرى ٣١) .

« ولا تَقرَبوا مالَ اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتى يَبْلُغ اشدّه ... » (سورة أسرى ٣٤) .

« ... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألّا تعدلوا فواحــــدة ... » (النساء : ٣) .

« ... ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... » (النساء ١٢٨)

« ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قـد سلف إنه كان فاحشة ومقتـــاً وساءَ سَبيلاً ★ حُرِّمَتْ عليكم أُمّهاتُكم وبَناتُكم واخواتكم وعماتـكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتي أرضَعْنَكُمْ ... وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قـــد سلف ... » (النساء ٢١ و٢٢) .

« الطّلاقُ مَرّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ باحسان ... » (البقرة ٢٢٩) .

« والمطلقـــات يتربصْنَ بانفسهِنَّ ثلٰـثةَ قروءٍ ط ولا يحلّ لَهُنَّ ان يكتمن ما خلق الله في أرحامِهنَّ إن كُنَّ يؤمِنَّ بالله واليومِ الآخِر ط وبُعُولَتهنَّ أحقّ بردّهن في ذلك إن ارادوا اصلاحاً .. » (البقرة ٢٢٨).

« ... وإن كن أولات حملٍ فأنفِقوا عليهنَّ حتى يضعنَ حَمْلَهُنَّ فإن ارضعن لكم فآتوهنَّ أجورهنَّ ... » (الطلاق ٦)

« للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساءِ نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قَل مِنه او كثر نصيباً مفروضاً » (النساء : ٦) .

« يوصيكم اللهُ في أولادِكم للذّكَرِ مثـــلُ حظّ الأنثيين ... » (النسْاء : ١٠) .

هذا وإن نظام الإرث في الاسلام يستنبط من

سورة النساء بصورة خاصة . وكذلك قواعد الزواج والعلاقات العائلية. والخلاصة إن الاسلام فيه قوانين يثبت الزمن قيمتها الاجتماعية ، وهي قابلة للتكييف والتطور مع التقـدم العلمي والاجتماعي في المجتمع . الفرد والاسرة هما الدعامتان الرئيسيّتان في تقويم المجتمع الاسلامي. بصلاحهما وقوتهما يصطلح المجتمع ويقوى والعكس بالعكس.

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٢٦ مايس سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية استلمت كتابك المؤرخ ١٥ مايس صباح عيد الاضحى المبارك فكان بمثابة معايدة جميلة . اسأل الله ان يعيده علينا جميعـــاً والمسلمون في عز وسؤدد واتحاد .

أما عن قلقي حول أسامة فلماذا تستغرب ؟ لقـــد انقطعت مكاتيبه خمسة أسابيع وهو أمر غير مألوف فارسلت والدتك برقية بنـــاءً على طلبي ، فجاء جواب مطمن ، وفي الاسبوع السادس وصلني كتاب منـــه . ولا زلت غير عارف اسباب انقطـــاع المكاتيب .

ولم يصلني بعد كتابه الذي وصل إليك والذي يرد فيه على تشويشي .

أما ما يتعلق بكتابتي إليك عن الدين الاسلامي فإني قلت لك بأن الغرض من كتابتي هو تعريفك بوجهة نظري وليس الغرض الدخول في مناقشة ، ومع ذلك فإن مستعد للاجابة على ملاحظاتك البناءة ضمن حدود معرفتي واستطاعتي ، لأني لست من علماء الدين بل من طلاب العلم المبتدئين ولي من اختباراتي الطويلة نسبياً في الحياة ، قديمها وحديثها، شرقيّها وغربيّها ما يشجعني على مجابهة الشباب الناهض من امثالك وذلك على شرط ان تكون طالب حقيقة ، الحقيقة بمعناها الواسع .

النظام الاجتماعي في الاسلام : يمكن رسمه في صورة ذهنية ، وأهم ملامحه : (١) الطمأنينة النفسية الناتجة عن

الايمان بالله (٢) التقوى (٣) عمل الخير (٤) التآخي (٥) التعاون (٦) العدل والانصاف (٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨) تأدية الأمانة (٩) السعي في الحيـــاة (١٠) التمتع بنعم الخالق بدون اسراف وإضرار بالصحة (١١) الإحسان والانفـــاق. (١٢) الاستعداد للدفاع عن الكيان الاسلامي. هاك الآيات الكريمة التي منها نعرف هذه الملامح:

« الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكرِ اللهِ ط أَلا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلوبُ ط ★ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ، طُوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنَ مَـآبٍ ط » (الرعد ٢٨ و ٢٩).

« إنَّما المُؤمِنُونَ إِخْوَةٌ ... (الحجرات ١٠).

« فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَاسْمَعُوا وأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيراً لِأَنفُسِكُمْ .. » (التغابن ١٦).

« ... وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ... » (المائدة ٢) .

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون » (آل عمران ١٠٤) .

« إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ... » (النحل ٩٠) .

« وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً » (النحل ٩١) .

« إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ... » (النساء ٥٨) .

« وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السّبيل ولا تبذّر تبذيراً » (الاسراء ٢٦) .

« وَأَوْفُوا الكَيْلَ إذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطاسَ المُسْتقِيمِ ... » (الاسراء ٣٥) .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسانِ إلَّا مَا سَعٰى ★ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى » (النجم ٣٩ـ ٤٠) .

« يا بَنِي آدَمَ خذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلوا وَاشرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِين » (الأَعراف ٣٠) .

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّبات مِنَ الرِّزق ... » (الأعراف ٣١) .

« وأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدوَّ اللهِ وَعَدوَّكُمْ ، وآخَرِينَ مِنْ دُونِهم لا تَعلمونَهُم ، اللهُ يَعْلَمُهُم ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ في سبيلِ اللهِ يُوَفَّ إليْكُم ، وَأَنْتُمْ لا تُظلَمُون » (الأنفال ٦٠) .

إن هذه الآيات تدلنا بوضوح على ان الاسلام ، كنظام اجتماعي ، يجمع بين الروح والمادة ، وبين المثالية والواقعية ، وأنه نظام إنساني عملي تسوده روح الأخوة والعدالة والتضحية . وعدا هذه النواحي الايجابية ، فإن الدّين الاسلامي يحمي المسلمين من الانهيار الفردي والاجتماعي ، وذلك بأن وضع قواعد وقائية ، فحرَّم الأمور الخطيرة التي تؤدي الى الضرر المحتم بالفرد والمجتمع ، مثل : (١) الشرك بالله . (٢) محاربة الدين ونشر الضلال والفساد . (٣) القتل الاعتدائي. (٤) أكل مال الغير. (٥) الانتحار. (٦) الزنا. (٧) الربو الفاحش. (٨) كتم الشهادة. (٩) أكل الميتة ولحم الخنزير. (١٠) شرب الخمر والقمار. فهذه كلها محرَّمة في الاسلا . وهناك بعض الآيات الكريمة التي تشير الى ذلك :

« إنَّ اللهَ لَا يغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاء ... » (النساء ٤٧) .

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ، أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أَيدِيَهُم وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ... » (المائدة ٣٢) .

« وَلَا تَقْتِلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ ، إِلَّا بِالحَقّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً ، فَلَا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً » . (الإسراء ٣٣) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ، وَلَا تَقْتِلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيماً » (النساء ٢٨).

« وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ، إِنَّهُ كانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (الإسراء ٣٢) .

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضعافاً مُضاعَفَةً ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون » (آل عمران ١٣٠) .

« ... ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهادةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ ط وَما اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون » (البقرة ١٤٠) .

« إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُم المِيتَةَ وَالدَّمَ وَلَحمَ الخنزِيرِ ، وَما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ط إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم » (البقرة ١٧٣) .

« يا أيها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخمرُ والميسِرُ

والأنصابُ وَالأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيطانِ ، فَاْجتَنِبُوهُ لَعَلَّكم تُفْلحُون » (المائدة ٩٣) .

هذه بعض نواحي النظام الاجتماعي في الأسلام، ولا بـــد قبل ان نترك الموضوع من الاشارة الى الأُسس الاقتصادية ، ونظام الحكم في المجتمع الاسلامي ، وهذا في المكاتيب القادمة ، إن شاء الله .

سلامي لمن يسألك عني من الاصدقاء والاساتذة.

واسلم لأبيك
فاضل

•

بغداد في ٢ حزيران سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . لم يصلني كتابك هذا الاسبوع بعد . وقد يسرك أن تعلم انني استلمت ثلاثة مكاتيب هذا الاسبوع من أسامة ! وهكذا الحياة ، إما جفاف وإما أمطار غزيرة والحمد لله ! صحتي لا بأس بها ، والحمد لله ، ولا زلت مستمراً على العبادة والمطالعة ، وقد صرنا ننام في الهواء الطلق ليلاً بعد أن أخذ الصيف يستولي علينا تدريجياً .

أستمر في حديثي معك عن الاسلام ، فأتناول بعض ما توصلت إليه من المبادىء في توجيه الحياة

الاقتصادية في الاسلام ، معتمداً على ما جـــاء في القرآن الكريم :

في العالم اليوم صراع عنيف بـــين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي . فهناك بلاد غنية فيهـــا أفراد يبذخون ويبذّرون ، وبلاد أخرى فقيرة فيها أفراد يموتون من الجوع ، مرضى ، حفاة ، عراة . بلاد أخذت بأساليب العلم الحديث ، وأخرى بقيت تغط في نومها منذ القرون الوسطى أو الابتدائية ، فقام بين الغني والفقير ، وبين المتجدد والعتيق ، صراع وتناحر ، وصارت الدول القوية تستغـــل الضعيفة ، وصار أصحاب الثروة (الملاكين وأصحاب المعامل) يستغلون الافراد العاملين ، من فلاحين وعمال ، بلا إنصاف ولا رحمة ، وهذا ما يسمّى اليوم بالاستعمار خارجياً ، والاستغلال داخليـــاً . إزاء ذلك قامت

الشيوعية ، وفيها سيطرة الدولة على راس المال والمعمل والعامل ، ونتج عن ذلك تجميد للحياة وادخالها في قالب صلب واستعباد للافراد وظهور طبقـــة جديدة تستغل الافراد وتمحق روح التشبث الفردي تقريباً .

إن هذه الازمة البشرية اليوم ترجع الى حد كبير إلى ان الانسانية قد منيت بنسيان القيم الروحيـــة وانجرفت في تيّار المادية العنيف . فحين بدأ الانسان يعتقد ان المادة هي أهم شيء في الوجود وأنهـــا هي الغاية التي يجب ان يسعى من أجلها المرء في الحياة كان التكالب والتطاحن .

أما الدين الإسلامي فيربط بين المــــادة والروح ويوحّدهما على اساس أن المادة واسطة والغاية روحية معنوية . فالمادة يجب أن تكون واسطة لتحقيق السعادة للفرد والامة في الدنيا والآخرة . أي ان المادة يجب

ان تخضع لقواعد الانسانية والاخوة والاحسان للغير والمساعدة للضعيف وعمل الخير ... الخ .. هاك بعض المبـــادىء الاساسية التي يجب ان تتجسم في المجتمع الاسلامي الصحيح !

١) كل ما يحصل عليه الانسان من مال حـــلال هو رزق من الله تعالى وفضل منه . فلا يجوز للثري ان يكون انانياً فيطغى ، ولا يجوز للفقير ان يشعر بأنه اقل كرامة من الثري بسبب الثروة .

٢) إن الله سبحانه فضل بعض الافراد على البعض الآخر في الوزق . وما يقال عن الافراد يقال عن الأمم . وذلك تبعاً لاختلاف القابليـــات البشرية والكنوز الطبيعية .

٣) لا يجوز خزن الثروة واكتنازها بل يجب ان تتداولها الايدي .

٤) في المجتمع الاسلامي يجب الانفاق ثم الانفاق ثم الأنفاق ! فالانفـــاق يجب ان يكون من أول واجبـــات المسلم فما عدا الخمس والزكاة (وهما من الفرائض) يؤكد القرآن الكريم على الصدق والاحسان والانفاق في سبيل الله وفي المشاريع الخيرية .

٥) يجب اقراض المحتاجين ومساعدتهم بدون ربا اي (فائض) . فاستغلال المحتاجين وتحميلهم فائضاً فاحشاً لقاء الدين يحرمه الاسلام . فظلم المرابين مثلاً في استغلال الفلاحين وامتصاص دمائهم من الامور المعروفة وهذا ما يحرمه الاسلام .

٦) ما يملكه المرء ليس له وحده بل فيه حق للسائل والمحروم فلا يجوز ان يعيش انسان في ترف مفرط بينما في المجتمع اناس جياع .

٧) البخل من جهة والاسراف والتذير من الجهة الاخرى ممنوعان في الاسلام .

٨) للدولة (على الدولة) ان تضع التشريعات الضرورية التي بها تؤمن تمشية المصالح والخدمات العامة والعدالة الاجتماعية في المجتمع .

هاك بعض الآيات البينات التي تثبت ما قلته أعلاه :

« اللهُ يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاء ويَقْدِر ... » (الرعد ~~٢٨~~ ٢٦) .

« واللهُ فَضَّلَ بعضَكم على بعضٍ في الرِّزقِ ... » (النحل ٧١) .

« ان المُصَّدِّقينَ والمُصَّدِّقاتِ وأقرَضوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَف لهم ولَهم أجر كريم » (الحديد ١٨)

« انما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينَ والعاملينَ عليهـا والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقابِ والغارمينَ وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيم . » (التوبة ٦٠) .

« قُـل لِعبادي الذينَ آمنوا يُقيموا الصلاةَ ويُنْفِقُوا مِمّا رزقناهم سرّاً وعلانية ... » (ابراهيم ٣١) .

« لن تنـالوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحبّون وما تُنْفِقُوا من شيءٍ فإنَّ اللهَ به عليم . » (آل عمران ٩٢).

« مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثَلِ حبة أنبتت سبعَ سنابل في كل سنبلة مائة حبـة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . » (البقرة ٢٦١) .

« انما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ من آمنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وأقامَ الصّلوةَ وآتى الزكوةَ ... » (التوبة ١٩).

« ويُطعِمونَ الطعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً ويتيماً واسيراً ★ إنما نطعِمُكُمْ لِوَجهِ اللهِ لا نريـــد منكم جزاءً ولا شكوراً . » (الدهر ٨ و ٩) .

« الَّذينَ يأكلونَ الرِّبوٰا لاٰ يقومونَ إلّا كَمٰا يَقومُ الّذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ من المَسِّ ذلِكَ بِأنّهم قالوا إنما البيعُ مِثْلُ الرِّبوٰا وأَحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّمَ الرِّبوا ط ... » (البقرة ٢٧٥) .

« يمحَقُ اللهُ الرِّبَوا ويُرْبِي الصَّدَقاتِ واللهُ لا يُحبُّ كلَّ كفارٍ أثيم . » (البقرة ٢٧٦) .

« وَالذين في اموالهم حق معـــلوم ★ للسائل والمحروم . » (المعارج ٢٤و٢٥) .

« وفي أمْوالِهم حَقٌّ لِلسّائِـــلِ وَالمحروم . » (الذاريات ١٩) .

« ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فللهِ وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الاغنياء منكم ... » (الحشر : ٧) .

« ... والّذينَ يَكْـنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سبيلِ اللهِ فبشِّرْهم بعذابٍ أليم ★ يوم يُحْمَى عليها في نارِ جَهنّم فتُكْوىٰ بها جِباهُهم وجُنوبُهم وظُهورُهم هذا ما كَنَزْتم لانفُسِكم فَذُوقوا ما كُنتم تَكْنِزُون » (التوبة ٣٤، ٣٥).

« ها أنتم هؤلاء تُدْعون لِتُنْفِقُوا في سَبيلِ اللهِ فَمِنكم مَنْ يَبْخل، ومَنْ يَبخلُ فانما يبخلُ عن نفسِه، واللهُ الغَنيُّ وَانتُمُ الفقراء، وإن تتولوا يَسْتبدل قوماً غيرَكم ثم لا يكونوا امثالكم . » (محمد ٣٨) .

إني أجد في هذه الآيات الكريمة علاجاً للرأسمالية

المتطرفة والشيوعية الساحقة . فالاسلام يشجع الحرية الاقتصادية والتشبث الفردي على شرط ان تكـون المادة وسيلة للانفاق في سبيل الخير . هذا وفي الاسلام مجال واسع للتشريعات المـالية التي تمـــاشي التطور الاقتصادي والاجتماعي وتضمن الخدمات العامة اجتماعية كانت ام صحية ام تعليمية ام عمرانية ام دفاعية .

سلامي لمن يسألك عني من الاساتذة والاصدقاء .

واسلم لأبيك
فاضل

بعد كتابة المكتوب وصلني كتابك الذي تهنئوني فيه بعيد الاضحى المبارك ، فشكراً لك وكل عـــام وانت بخير !

بغداد في ٩ حزيران سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية. اشكرك على كتابك المؤرخ ٣٠ مايس. ولم تذكر في رسائلك تاريخ رسائلي التي تستلمها لأعرف اي مكتوب وصلك مني.

إن معلوماتك عن مخاطبة الكبير بالمفرد عند العرب صحيحة. ولكن صيغة الجمع للتأدب والتكريم هي المعمول بها في كل اللغات ذات الحضارة اليوم، فالانكليزية والافرنسية والفارسية والتركية كلها تخاطب المفرد بصيغة الجمع، فالقضية قضية تطور في الاصطلاح والاستعمال وهذا يشمل العربية. على ان صيغة المفرد

تستعمل للتعظيم الفائق فالدعاء إلى الله تعالى يكون بصيغة المفرد عن الجمع . هل الرواية التي تشترك في تمثيلها عربية ام انكليزية ؟ ومن هو مؤلفها ؟

اتناول اليوم باختصار كلّي نظام الحكم في الاسلام :

الأسس : إن نظام الحكم في الاسلام مؤسس على الايمان بالله وتقوى الله باتباع اوامره وتجنب نواهيه الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ . ومن اهداف نظام الحكم تأمين مجتمع :

(١) تسوده الرحمة والمحبة والاخوة والمساواة بين الافراد (٢) يسوده الحق والخير (٣) تتجلى فيه الوحدة الروحية (٤) تعالج فيه الخلافات التي تضعف الكيان بالحسنى (٥) يسوده الأمن والطمأنينة للافراد من الداخل وللمجموع من الخارج (٦) تضمن فيه الكفاية المعاشية لكل فرد (٧) تضمن فيه العدالة التامة في الحكم

للجميع بدون تحيز او محاباة (٨) يقتص فيه من المجرمين ويحمي المجتمع من المعتدين والمستغلين استغلالاً فاحشاً (٩) ينشر فيه العلم والفضيلة ويكافح الجهل والرذيلة (١٠) ينشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب غير المسلمة. وهذا يتطلب من المسلمين ان يكونوا قدوة حسنة، كأفراد وكمجموع، لغيرهم من الشعوب.

وهذه بعض الآيات الكريمة التي تعين اهداف الحكم هذه من الاسلام:

« قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغفِرْ لكم ذنوبَكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ. » (آل عمران ٣١).

« إنَّما المؤمنونَ إخوَةٌ فَأَصلِحُوا بينَ أَخويكم ... » (الحجرات ١٠).

« فَأَمّا الَّذينَ آمنُوا باللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ في رحمةٍ مِنهُ وفضلٍ ويهديهم صِراطاً مستقيماً . » (النساء ١٧٥) .

« واللهُ يَدعو الى دارِ السَّلامِ ويَهدي مَنْ يَشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيم . » (يونس ٢٥) .

« ... قُل اللهُ يَهْدِي لِلحقِّ أفَمَن يَهْدي إلى الحقِّ احقُّ ان يُتّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إلّا أَنْ يُهْدى ... » (يونس ٣٥) .

« إنَّ هذهِ أُمَّتُكم امةً واحدةً وانا رَبُّكم فَاعبُدون . » (الانبياء ٩٢) .

« وَاعتَصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرَّقُوا وَاذكروا نعمةَ اللهِ عَليْكمْ إذْ كُنْتُم أعداءً فَأَلَّفَ بينَ قُلوبِكم فأصبَحْتُم بنعمَتِه اخواناً ... » (آل عمران ١٠٣) .

« فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هـذا البيت . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهم مِنْ خَوْف » (قريش ٣ و ٤).

« إنَّ اللهَ يَأْمُرُكم أَنْ تُؤَدُّوا الأمـانات إلىٰ أهلِها ، وَإِذَا حَكَمْتُم بينَ الناس أَنْ تَحكُمُوا بالعدل ... » (النساء ٥٨) .

« إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتـاءِ ذِي القُرْبىٰ ، وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاء والمنكرِ والبغِي يَعِظُكم لَعَلَّكم تذكَّرون » (سورة النحل ٩٠) .

« يا أيُّها الَّذين آمنوا كونوا قوَّامين لِلّهِ شهداءَ بالقِسطِ ، ولَا يَجْرِمنَّكم شنآنُ قومٍ على ألَّا تَعدِلوا اعدِلُوا هُوَ أقربُ لِلتقوى ... » (المائدة ٨) .

« ... فَاحكُمْ بَيْنَهم بمـا أنزلَ اللهُ وَلا تتَّبع

أهواءَهُم مِمَّا جاءَكَ من الحقِّ، لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكم شِرْعَةً وَمِنْهاجاً » (المائدة ٤٨) .

« أفحكمُ الجاهليةِ يبغون ، وَمَنْ أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقومٍ يوقِنون » (المائدة ٥٠) .

« ولكم في القِصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ لَعلَّكم تَتَّقون » (البقرة ١٧٩) .

« ونضعُ الموازِينَ القِسطَ ليومِ القيامةِ ولا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً وإنْ كانَ مِثقالَ حبةٍ من خَرْدَلٍ أتيْنا بِها وكَفى بِنا حاسِبين » . (الأنبياء ٤٧) .

« قُلْ يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلَى كلمةٍ سواءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكم ألَّا نَعْبُدَ إلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دونِ اللهِ فَإن تَوَلَّوا فقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسلِمُون » .
(آل عمران ٦٤) .

« وَعدَ اللهُ الذين آمَنوا منكم وَعَمِلُوا الصالِحات لَيَستَخلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ ، كما استَخلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبلِهِم ، وليُمكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهم ، وَلَيُبدِّلَنَّهُمَ مِنْ بعْدِ خوْفِهم أمناً يَعبُدُونني وَلا يَشْرِكونَ بِي شيئاً ... » (النور : ٥٥) .

« وَلْتَكُنْ مِنكم أمةٌ يدعونَ إلى الخيرِ وَيَأْمُرُونَ بالمعروفِ وَينهَوْنَ عن المنكرِ وَاولَئكَ هُمُ المفلِحُون » (آل عمران ١٠٤) .

<u>اسلوب الحكم في الاسلام</u> : إن العالم اليوم يتخبط بين نظم ديكتاتورية صارمة وبين نظم دمقراطية قد تسف إلى الغوغائية والفوضى الاجتماعية . أما الاسلام فلم ينص على قالب معين للحكم، بل ترك الأمر لما يستقر عليه رأي المسلمين وحالهم، ولكنه في الوقت نفسه يشجب الديكتاتورية كما يشجب الغوغائية واتباع

الاهواء في الحكم . فالاسلام يضع : (١) « مبـــدأ الشورى » في الحكم وهو لب الدمقراطية الحقيقية . فالقرآن الكريم نص على اهم الاسس العامة للاحكام فعن طريق الشورى يجب وضع التشريعات الاقتصادية والاجتماعية والقضائية حسب تطور الظروف والاحوال (٢) والاسلام عن طريق الشورى يستطيع نصب جهاز حكومي يتصف بالنزاهة المطلقة والتجرد وضبط النفس مع العطف والرحمة واللين من جهة والصرامة في احقاق الحق من جهة أخرى .

(٣) والاسلام يتطلب من المسلم ان يساهم في تأمين النظام العام وذلك باطاعة أولي الأمر وهـــذه يجب ان تكون طاعة منبعثة عن ايمان بالحق والعدل وليس عن خوف من سلطة . قال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ

القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ...» (آل عمران ١٥٩) .

« والذينَ استَجَابُوا لِرَبِّهِم وَأَقَامُوا الصلوٰةَ وَأَمرُهُم شورىٰ بَينَهُم وَمِمَّا رَزَقناهُم يُنفِقُون »
(الشورى ٣٨) .

« فَذَكِّر إنَّمَا أنتَ مُذَكِّر . لَستَ عَلَيهِم بِمُسَيطِر »
(الغاشية ٢١ و ٢٢) .

« نحنُ أعلَم بِمَا يقولُونَ وَمَا أنتَ عَلَيهِم بِجَبَّار .. » (ق ٤٥) .

« يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم ، فَإِن تَنازَعتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُونَ

بالله واليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحسَنُ تأويلاً » .
(النساء ٥٨ ٥٩) .

« وأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعوا فَتَفْشَلوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم ... » (الانفال ٤٧ ٤٦) .

هذا وقد تجلى نظام الحكم الاسلامي في روحه الحقيقية تقريباً في عهد الخلفاء الراشدين وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز من الامويين. استمع لتواضع الخليفة ابي بكر الصديق حين يقول :

« وليت عليكم ولست بخيركم فإن استقمت فاعينوني وإن زغت فقوموني » . أما الخليفة عمر بن الخطاب فهو صاحب مبدأ « من أين لك هذا ؟ » في محاسبة المسؤولين وهو القائل « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » والقائل « من يرى فيَّ اعوجاجاً فليُقوّمه » .

أما عهد الامام علي ابن ابي طالبِ لمالك الاشتر حين ولاه على مصر فهو آية في البلاغة وقواعد الحكم جاء فيه : « اشعِرْ قلبكَ الرحمةَ بالرعية والمحبةَ والعطفَ بهم ولا تكوننّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم اكلهم. وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك وممن له هوى في رعيتك ، فانك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان خصيمه دون عباده ... » وجاء فيه : « وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستلم امره إلا قليلاً ... »

ارجو ان تعلم بان ما في هذا الكتاب قطرات من بحر زاخر وارجو ان تجد الفرصة لدرس سيرة الرسول وكبار الصحابة ولا سيا الامام علي بن ابي

طالب والخليفة عمر بن الخطاب لترى الفرق بين روح الاسلام الحقيقي وبين ما عليه المسلمون اليوم.

سلامي لمن يسألك عني.

واسلم لأبيك
فاضل

أبو اوغوص يسلم عليك.

*

بغداد في ١٦ حزيران سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سررت كثيراً بكتابك المؤرخ ٦ حزيران. اهنؤك على فوزك بالمرتبة الثانية في بطولة الجامعة للسباحة وعلى نجاحك في عملية اسعاف الغرقى. إنني لم ابرز في حياتي في قضايا السباحة مع الأسف. صحتي كانت منحرفة هــذا الاسبوع قليلاً والآن تتحسن والحمد لله .

اشرت بايجاز كلي في مكاتيبي السابقة إلى العقائد والفرائض والنظام الاجتماعي في الاسلام وهأنا اليوم اتناول بايجـــاز كلّي الاخلاق في الاسلام . واظنك

تتذكر بأني شبَّهت لك سابقاً العقائد بجذور الشجرة وجذعها الرئيسي ، والعبادات (الفرائض) بالمـــاء والغـــذاء الذي تقدمه للشجرة ، والنظام الاجتماعي بالاغصان ، والأوراق والأخلاق هي الثمرة ، فالمسلم الصحيح يُعرف باخلاقه وتصرفاته ، والاخلاق هي التي تميز الافراد والأمم بعضهم عن بعض . فقـــوة أخلاق المسلمين في صدر الاسلام كانت سبب انتصارهم وانتشار الاسلام بتلك السرعة الفائقة ، وضعف أخلاق المسلمين اليوم هي سبب انخذالهم وتفرقهم وضعفهم .

عناية الدين الاسلامي بالاخلاق : إن الدين الاسلامي يضع الاخلاق (العمل الصالح) في المرتبة الأُولى من الاهمية . فذكر العمل الصالح يلي الإيمان مباشرة في آيات قرآنية عديدة مثل : « الَّذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحات ، طُوبىٰ لهم وحُسنُ مآب » (الرعد ٣١) .

« والعصر . إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ إلّا الَّذِين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات .... » (سورة العصر) .

ثم إن في وصف الله سبحانه لنبيِّه ﷺ في قوله : « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم » (القلم ٤) ، ومخاطبته إيَّاه بقوله : « فِبما رحمة من اللهِ لنتَ لهم ولو كنتَ فظّاً غليظ القلب لانفضُّوا من حولِكَ ... » (آل عمران ١٥٩) ، لبرهان واضح على اهتمام الاسلام اهتماماً واقعياً بالاخلاق في الحياة الاسلامية الخاصة والعامة .

الهدف الخلقي في الاسلام : يستهدف الاسلام ضمان أعظم الخير والسعادة للفرد وللمجموع في الدنيا والآخرة . هذه جملة قصيرة ، ولكنها تحوي أهدافاً واسعة وبعيدة . « وقيل للذين اتّقوا ماذا أنزلَ ربُّكم قالوا خيراً للذينَ أحسنوا في هذه الدُّنيا حسنةٌ ولدارُ

الآخِرة خيرٌ ، ولِنعم دار المُتَّقين » (النحل ٣٠) .

والمسلم اذ يعرف ان الله كرمه فجعله « خلائف في الارض » من واجبـــه ان يهتدي في سلوكه بنور « المثل الاعلى » الذي يمثل صفات الكمال لله تعـالى . ومع أن المثل الاعلى لا يمكن أن ينـــال إلا انه هو النور الذي تهتدي به البشرية في سبل الخير : « للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم » (النحل ٦٠) . ومن اهتـــدى بنور المثل الاعلى فهو خير صالح يسعد وينعم في الدنيـــا والآخرة . فالمثل الأعلى إذن هو الهدف الحقيقي للاخلاق في الاسلام .

نشأة الفرد الاخلاقية ومسؤوليته : مولـد الفرد في الاسلام نقياً بريئاً لا يعرف شيئاً ولا يميز بين الخير والشرّ فقد قال تعالى « والله اخرجكم من بطون

امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لـكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » (النحل ٧٨) (والافئدة هي ما نعبر عنها بالعقول اليوم) . فباستعمال الحواس والعقل يتربىٰ الانسان . والعقل ان اهتدى بهداية الله يميز بين الخير والشرّ فيختار الطريق الذي يرى فيه الخير . وإن لم يهتدِ بهدى الله فليس من الضروري ان يكون اداة خير بل قـد يقود صاحبه إلى اخطر المهالك . إذن فهداية الله ورحمته اساسية لكل ذي عقل إذا شاء ان يسلك سبل الخير . فالله سبحانه منح الانسان العقل وله حرية الاختيار ثم فتح امام العقـل ابواب الهداية والرحمة ومنحه امكانية الولوج في هذه الابواب حرّاً مختاراً . فإن ولجها نجا وإن صد عنها هلك . ولذلك تقع المسؤولية على الفرد عن كل ما يأتي به من اعمال . اقرأ معي :

« الم نجعل له عينين ـ ولساناً وشفتين ـ وهـــديناه النجدين » (البلد ٨،٩،١٠) .

« إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ـ إنا هديناه السبيل اما شاكراً وإما كفوراً » (الدهر ٢و٣) .

« يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربـــكم وشفاء لما في الصدور وهــدى ورحمة ~~لقوم يؤمنون~~ للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته بذلك فليفرحوا هو خـــير مما يجمعون . » (يونس ٥٧و٥٨) .

« ... قل إن هدى الله هو الهـــدى ... » (البقرة ١٢٠) .

« إنا انزلنا عليك الكتاب للنـــاس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليهـا وما انت عليهم بوكيل . » (الزمر ٤١) .

« إن الله لا يظلم النـــاس شيئاً ولكـن الناس انفسهم يظلمون .. » (يونس ٤٤)

الصراع بين عوامل الخير وعوامل الشر في داخل النفس:

ان الله سبحانه بحكمته تفضل على الانسان بالعقـــل وبالهداية من جهة ومن الجهة الاخرى ابتلى الانسان بالشيطان الذي يغري الانسان ويخـــدعه فيقوده إلى المعاصي والآثام وقد حذر سبحانه الانسان من شرور الشيطان ووضع على عاتقه مسؤولية اتقاء هذه الشرور . كما انه سبحانه ابتلى النفس البشرية بنقـائص عديدة ، وضع على عاتق الانسان مسؤولية معالجتها وتلافيها ومن هذه : الضعف والاستعجال والكفر والجـــدال والخصام والغرور والجهل والظلم . إن الشيطان يستغل الضعف النفسي فيوقع الانسان في هوة المعصية والرذيلة ويحجب عن عينيه نور « المثل الاعلى » ولا نجاة إلا

بالاستعانة بالله وطلب الرحمة والهداية منه . إن مسؤولية الانسان تجاه اوامر الله ونواهيه هي امانة ثقيلة في عنق الانسان وقد استخف الانسان بحمل هذه الأمانة ولم يرمها حقها ظلماً وجهلاً . إذن فالصراع من داخل النفس بين قوى الخير وقوى الشرّ مستمر . وطوبى لمن غلبت في نفسه رحمة الله وهدايته :

« ... إن الشيطان للانسان عدو مبين » (يوسف ٥).

« إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدواً ... » (فاطر ٦).

« ... إن النفس لأمّارة بالسّوء إلا ما رحم ربي... » (يوسف ٥٣).

« ... وخلق الانسان ضعيفاً » (النساء ٢٧).

« ... وكان الانسان مجهولاً » (اسرى ١١).

« ... وكان الانسان كفوراً » (اسرى ٦٧) .

« ... وكان الانسان قتوراً » (اسرى ١٠٠) .

« وكان الانسان اكثر شيء جدلاً » (الكهف ٥٥) .

« خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (النحل ٤) .

« قتل الانسان ما اكفره » (عبس ١٧) .

« يا ايها الانسان ما غرّك بربك الكريم » (الانفطار ٦) .

« إنا عرضنا الامانة على السمٰوات والأرضِ والجبال فأبينَ ان يحملنها واشفقنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً » (الاحزاب ٧٢) .

ساستمر في الكتاب القادم على بحث الاخلاق في الاسلام انشاءالله .

وبذلك اكون قد اعطيتك صورة مصغرة عن الاسلام كما أفهمه وأرجو ان تفيد منها قدر المستطاع بمعونة الله .

سلامي لمن يسألك عني .

واسلم لأبيك
فاضل

*

بغداد في ٢٣ حزيران سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سررت كثيراً باستلام كتابك المؤرخ ١٢ حزيران والذي تبدي فيه اختلافك مع اسامة حول نظام الحاكم في الاسلام والحقيقة إن نظام الشورى في الاسلام قابل للتكيف فهو يمكن ان يكون نظام حكم الحكماء والعقلاء كما يمكن ان يكون نظاماً دمقراطياً شعبياً بالمعنى الحديث فهو نظام قابل للتطور مع الاحوال والظروف ولكنه ضد الديكتاتورية على كل حال كما انه ضد الغوغائية والرعاعية . هذا رأيي وقد اكون مخطئاً . استمر في بحثي بايجاز كلي عن الاخلاق في الاسلام فأقدم لك رؤوس الاقلام في

الاخلاق التي يجب ان يتحلى بها المسلم والاخلاق والافعال التي يجب ان يتجنبها . فأما ما يجب ان يتصف به المسلم :

التقوى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وابتغوا إليه الوسيلةَ وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة ٣٨) .

البرّ بالوالدين : « ووصينا الانسان بوالديه حسناً ...» (العنكبوت ٨) .

عمل الخير : « وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً » (النساء ١٢٦) .

الصّبر : « يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصّبر والصّلاة إن الله مع الصابرين » (البقرة ١٥٣) .

الانفاق : « لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون ...» (ال عمران ٩٢).

الصدق : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (التوبة ~~١٢٠~~ ١١٩).

الوفاء بالعهد : « ... واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » (~~اسرى~~ الأسراء ٣٤).

تأدية الامانة : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها ... » (النساء ~~٥٧~~ ٥٨).

العدل : « ... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ... » المائدة ~~٩~~ ٨).

الرحمة : « ... وجعل بينكم مودة ورحمة ... » (الروم ٢١).

كظم الغيظ والعفو : « الذين ينفقون في السراء

والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (ال عمران ١٣٤) .

التعاون : « ... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ... » (المائدة ٢) .

العمل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... » (التوبة ١٠٥) .

الجهاد : « انفروا خفافاً وثقالاً وجـــاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة ٤١) .

الاستعداد : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ... » (الانفال ٦٠) .

العزة : « ... ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ... » (المنافقون ٨) .

التآخي : « انما المؤمنون اخوة ...» (الحجرات ١٠).

الاتحاد : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ...» (آل عمران ١٠٣).

الاعتدال : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ...» (اسرى ٢٩).

التواضع : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» (الفرقان ٦٣).

القناعة : « ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيراً » (اسرى ٣٠).

العفة : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ...» (النور ٣٠).

التوكل: « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو

مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (التوبة ٥٢) .

القراءة ونشر العلم : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » (سورة العلق) .

وفيما يلي بعض الصفات والافعال التي يجب ان يكافحها المسلم :

الشرك بالله : « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » (لقمان ١٣) .

الظلم : « ... وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » (الشعراء ٢٢٧) .

« ... وما للظالمين من نصير » (الحج ٧١) .

النفاق : « يا ايهـــا النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير »(التوبة ~~٧٤~~ ٧٣) .

الغرور والكبرياء : «... انه لا يحب المستكبرين» (النحل ٢٣).

« و لا تصعر خدك للناس ولا تمشِ في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور » (لقمان ١٨).

الفساد : « ... ولا تبغِ الفساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين » (القصص ٧٧).

الفسق : « ... والله لا يهدي القوم الفاسقين » (المائده ~~١١١~~ ١٠٨).

القتل : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيهـــا وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً » (النساء ~~٩٢~~ ٩٣).

الزنا : « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » (الاسراء ٣٣).

شهادة الزور : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » (الفرقان ٧٢).

المال الحرام : « إن الذين يَأْكُلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنَّما يَأْكُلونَ في بُطونِهِمْ ناراً » (النساء ٩) .

« ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ... » (البقرة ١٨٨).

« ... ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربا ... » (البقرة ٢٧٥).

التلاعب بالكيل : « ... فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ... » (الاعراف ٨٥) .

الكذب : « ... ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (آل عمران ٦١).

الباطل : « وقل جـــاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » (الإسراء ٨١).

الخيانة : « ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا اثيماً » (النساء ١٠٧).

الظن والتجسس: « يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ... » الحجرات (١٢)

الغيبة : « ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه.... » (الحجرات ١٢)

رمي المحصنات : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً وأولئك هم الفاسقون » (النور ٤).

الحسد : « قل اعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢)... ومن شر حاسد اذا حسد » (٥) (الفلق).

البخل : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضلهِ هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقوّن ما بخِلوا به يوم القيامة ... (آل عمران ١٨٠) .

التبذير : إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطانُ لرَبّه كفوراً (الاسراء ٢٧) .

النزاع والخلافات : واطيعوا الله ورسوله ولا تنازَعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين » (الانفال ٤٦) .

اعتقد ان هذه القائمة تعطيك فكرة موجزة عن أمراض المجتمع الاسلامي والقائمة الأولى تعطيك صورة لما يجب ان يكون عليه المجتمع الاسلامي في الاخـــلاق . وفي الرسالة القادمة ساحدثك عن وسائل التربية الاخلاقية في الاسلام وعن أهمية الحياة الروحية في البناء الاخلاقي انشاءالله .

ارجو ان اراك قريباً في بغـــداد وانت تتمتع بالصحة والهناء .

سلم على من يسأل عني .

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ١٤ تموز سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية ارجو ان تكون وصلت بـــيروت بالسلامة وسارت امورك الدراسية كما تحب. لقد سررت برؤيتك كثيراً . صحتي احسن قليلاً والحمد لله ولقـد جرت تخفيضات في المحكوميات بنسبة عشرة بالمائة بمناسبة ذكرى ١٤ تموز وهذه نعمة نحمد الله عليها .

اكتب اليك بايجاز كلي عن اسلوب التربيـــة الاخلاقية في الاسلام :

في الاسلام عاملان اساسيان يعملان في تربية الانسان وتوجيهه نحو الخير ويحملانه على تجنب الشرّ

وهما (١) تلاوة القرآن الكريم (٢) تأدية الفرائض الدينية بما فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« اتل ما اوحيَ اليك من الكِتاب واقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ...» (العنكبوت ٤٥).

أما القرآن فهو منبع فياض في التربية الاخلاقية. فجلّ القرآن ان لم اقل كله جاء لتربية الانسان وتوجيهه نحو الخير. ومن يتلو القرآن باستمرار تلاوة متيقّظ طالب للهداية يجدْ فيه قوة روحية عظيمة. والقرآن الكريم يستعمل الوسائل التالية في التربية الاخلاقية :

١) **الوعظ والارشاد:** « هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين » (آل عمران ١٣٨).

«... واذكروا نعمة الله عليكم وما انزلَ عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ...» (البقرة ٢٣١).

٢) **الامثال** : القرآن الكريم غني بالامثـــال التي تحبب الخير للنفوس وتقبح الشرّ لها : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » (العنكبوت ٤٣).

٣) **التـاريخ** : إن القرآن الكريم يستشهد بأمم وشعوب هلكت اذ دب فيها الكفر والفساد . وما يصدق على الأمم يصدق على الافراد :

« او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشدَّ منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رُسُلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » . (الروم : ٩) .

٤) **القصص** : إن القرآن الكريم يأتي بقصص تربي الانسان تربية اخلاقية شريفة مثل قصة يوسف

عليه السلام : « لقـــد كان في قصصهم عـــبرة لأُولى الألباب ... » (يوسف ١١١) .

٥) التذكير: إن تـــلاوة القرآن الكريم تذكر الانسان بضرورة عمل الخير وتجنب الشرّ : «وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» (الذاريات ٥٥) .

« ولقـــد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » (القمر ١٧) .

٦) التحذير من قرين السوء : إن القرآن الكريم يحـــذر الانسان من قرين السوء ويوضح سوء تأثيره على مصير الفرد :

« يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعـــد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً » الفرقان (٢٨و٢٩) .

٧) **مسؤولية القادة في توجيه اخلاق الشعب** : إن القرآن الكريم يوضح تأثير الزعماء الضالين الفاسدين على اخلاق الشعب اذ يقول :

وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ★ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنـاً كبيراً » (الأحزاب ٦٧ و ٦٨) .

٨) **الترغيب في عمل الخير والترهيب من عمل الشر** :

« إنه من يأت ربّه مجرماً فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيىٰ ومن يأته مؤمناً قـد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلىٰ جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّىٰ » (طه ٧٤و٧٥و٧٦)

« من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مِثْلَها وهم لا يظلمون » (الانعام ١٦٠) .

٩) **التوبة والمغفرة :** إن القرآن الكريم يضع امام الأنسان فرصة ذهبية لاصلاح نفسه اذا اهتدى إلى الخير وذلك بأن يظهر ندمه فيتوب ويستغفر الله : « ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » .(النساء ١١٠) .

« قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم » (الزمر ٥٣) .

« وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » (طه ٨٢) .

أما الفرائض وما فيها من رياضة روحية تقرب الى الله وما فيها من تنظيم لحياة الفرد اليومية وما فيها من تعويد

الفرد على التحمل والصبر والنظام وما فيها من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فهي عامل إيجابي في تكوين الاخلاق الشخصية والاجتماعية . هذا وقد مرت الاشارة الى ذلك عند بحثنا عن الفرائض وأثرها في حياة الانسان .

الاخلاق والحياة الروحية : نقطة جوهرية اود ان امسها هنا مساً خفيفاً وهي علاقة الأخلاق بالدين وهي هل من الضروري ان يتدين الانسان ليكون من اهل الخير والصلاح والحق . فالماديون يقولون : حسّن الوضع المادي للانسان تصطلح الاخلاق . أما الاسلام فيقول أصلح الاخلاق يصطلح الوضع المادّي . مع اعترافي بالترابط التام بين الخلق والمادة اقول : الخلق قبل المادة والإرادة قبل العمل . لقد ثبت فشل الفلسفة المادية المجردة عن الدين في تقويم الاخلاق في التجربة السوفيتية

في الاربعين سنة الاخيرة . مما اضطر السوفييت مؤخراً إلى تشريع احكام الاعدام على من يسرقون اموال الشعب ويتلاعبون في الانتاج الصناعي والزراعي . فالشيوعية لم تفلح لحد الان في دعواها بان النظــــام الاقتصادي وحده كفيل باصلاح النظام الاخلاقي . فعلاقة الاخلاق بالدين هي علاقة حيوية في رأيي ذلك لان الدين يحرك عاملاً داخلياً نفسياً في عمل الخير امـا الفلسفة المادية فتعتمد على عوامل خارجية تتطلب المراقبة المستمرة والتجسس . ولا يعني هذا ان ليس هناك اشخاص ذوي اخلاق نزيهة غير متدينين ولكن هؤلاء هم الاقلية النادرة وتنتهي حياتهم باليأس والقنوط عـــادة . إذن فالدين ضروري لسعادة الانسان وحياته الاخلاقية .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم . دعواهم

فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعوٰيهم ان الحمد لله رب العالمين » (يونس ٩ و ١٠) .

بهذا ينتهي جوابي على كتابك المؤرخ ١١ شباط حول تعريف الدين الاسلامي .

سلامي لمن يسألك عني

واسلم لأبيك
فاضل

•

بغداد في ٢١ تموز سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . سررت بكتابك الذي تعرب فيه عن نجاحك في الرياضيات . فأرجو لك النجاح في دروسك الصيفيـــة . مضى الاسبوع الماضي وكنت مغموراً فيه بلطف الاقرباء والأصدقاء الذين كانوا يفدون على بيتنا مهنئين .

اكتب اليك اليوم باختصار ملاحظاتي عن علاقة الاسلام بالقومية العربية :

١) شَرَّفَ الله سبحانه الامة العربيـــة بان بعث منها خاتم النبيين محمد بن عبدالله ﷺ . وإنه لشرف عظيم

يدعو الى الافتخار والتواضع ويلقي مسؤولية عظمى على عاتق العرب نحو الانسانية جمعاء : «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين» (سورة الجمعة ٢).

٢) شرف الله سبحانه اللغة العربية بأن انزل القرآن بها : «إنا انزلناهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (يوسف ٢).

٣) شرف الله سبحانه العرب في القرآن الكريم بان قال : «لقد انزلنا كتاباً فيه ذِكرُكم افلا تعقلون» (الانبياء ١٠).

٤) اندفع العرب بروح الاسلام وقوة الايمان ففتحوا بلاداً شاسعة تمتد من اواسط فرنسا الى بلاد

الصين وبذلك دخلت شعوب عديدة في حقل العروبة فالهلال الخصيب في غربي آسية وشمال افريقية اصبحت في الغالب بلاداً عربية بفضل الاسلام، فالامـــة العربية والوطن العربي اصبحا اضعاف ما كانا عليه قبل الاسلام بفضل الاسلام.

٥) لقد ارتبطت الامة العربيـــة برباط الاخوة الاسلامية مـــع اقوام اسلامية حافظت على كياناتها القومية مثل ايران وتركيـــة وافغانستان ثم جاءت اندونيسيا والباكستان والملايو ثم عدد من البـــلاد الافريقية التي يدين اكثرية سكانها بالاسلام. وهذه الاخوة الاسلامية هي ثروة انسانية عظيمة من النواحي الروحية والسيـاسية والاجتماعية والاقتصادية لو احسن المسلمون تنظيمها والاستفادة منها.

ففي العالم اليوم اقل من مائة مليون عربي ونحو

الخمسمائة مليون مسلم . وإن الخمسمائة مليون مسلم يكونون قوة عالمية توازي قوة الصين او الهند او الاتحاد السوفييتي او اوربا الغربية او الامريكتين فيما لو ارتفع مستوى هؤلاء المسلمين روحياً ومادياً وتثقفوا وتصنعوا .

٦) لقد دفع الاسلام العرب في العراق وفي الاندلس وفي شمال افريقية وفي تركستان إلى تأسيس حضارة اسلامية هي مفخرة من مفاخر التاريخ الانساني. إذن فالتاريخ الذي يفخر به العرب هو تاريخ اسلامي ـ العرب شركاء فيه ولغة العلوم والتعليم هي اللغة العربية .

٧) إن الفضل في صيانة اللغة العربية التي هي الاساس في كيان القومية العربية يعود إلى القرآن الكريم ، اذ لو لا القرآن الكريم لتبعثر العرب واصبحوا

اقواماً متعددة حسب لهجاتهم المحلية واختلاف أقاليمهم. ولكن القرآن الكريم هو الذي جعل العرب يرتفعون فوق اللهجات المحلية ويتمسكون بلغة القرآن التي تربط الاقطار العربية جميعها، فما يكتب في بغداد يقرأ في في المغرب والعكس بالعكس.

٨) لقد جـاء الاسلام (مع فضله العميم على القومية العربية وتأسيسه لمجدها الخالد) مقاوماً للعصبيات القومية، فالاسلام يؤاخي بين القوميات الاسلامية فلا فضل لقوميـة على اخرى في الاسلام إلا بالتقوى «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتَعارفوا إنَّ اكرمَكم عندَ اللهِ اتقاكم» (الحجرات ١٣) إذن فالقومي العربي لا يجوز له ان يتباهى لمجرد كونه عربياً، بل له ان يتباهى بالاعمال والخدمات الممتازة التي يقدمها للمجموعة الاسلامية والانسانية، وكذلك قل عن القومي التركي او الفارسي

والأفغاني ... إذن فالاسلام جاء مصححاً للتطرف والتعصب في القوميات الأمر الذي تشكو منه الانسانية اليوم .

٩) إن الاسلام هو رابطة أخوة روحية بين العناصر المسلمة المختلفة القوميات التي تعيش في الوطن الواحد، مثل العرب والاكراد والأتراك والفرس في العراق . فالدين الأسلامي قوة روحية عظيمة في تكوين الوحدة العراقية . وما يقال عن العراق يقال عن بلاد عربية اخرى .

١٠) إن فريضة الجهاد في الاسلام واستعداد المسلم المؤمن للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الدفاع عن بلاده هي اكبر ضامن لسلامة الاقطار الاسلامية، ومنها العربية،ضد اي عدوان خارجي .

١١) إن افضل رسالة تحملها الأمة العربيـــة إلى الانسانية هي رسالة الاسلام، رسالة التوحيد والإخاء والعدل بين البشر جميعاً . وما يدريك لعـــل شعوباً جديدة ولا سيما في افريقية وآسيا قد تعتنق الاسلام فتدرس القرآن وتتعلم اللغة العربية . فللدين الاسلامي في رأيي مستقبل زاهر فيما لو فهم على حقيقته وفيما لو قام العرب والمسلمون بواجبهم نحوه .

١٢) إن تأكيدي على العلاقة بـــين الاسلام والقومية العربية، لا اقصد فيه عزل العربي غير المسلم عن القومية العربية . فكل عربي مهما كان دينه يجب ان يعتز ويفتخر بالاسلام ولو لم يتدين به . ولكني اود ان انتهي الى القول الى ان العروبة في نشأتها وتاريخهـــا هي روحية مثالية قبل ان تكون مادية . فالعرب تضحي بالمادة في سبيل الشرف والكرامة .

والقومية العربية في رأيي يجب ان تكون متدينـــة مؤمنة بالله وبرسالة التوحيد والإخـــاء والمساواة بين البشر ، أما العلمانية ففي رأيي لا تنسجم مـــع القومية العربية .

هذه ملاحظات سريعة على العلاقات بين العروبة، والاسلام ومنها يتضح لك الترابط الحيوي بينهما .

سلامي لمن يسألك عني

واسلم لأبيك
فاضل

بغداد في ٢٨ تموز سنة ١٩٦١

عزيزي عباس :

بعد اهدائك التحية الطيبة والدعاء لك بالسلامة والتوفيق والهداية . لم يصلني كتاب منك هذا الأسبوع بعد . لقد سمعت انك تتساءل لماذا مصدر البرقيـــة الجوابية لك هو الكاظمية ؟ المسألة بسيطة جداً . عبد الغني الجمالي الذي ارسل البرقيات يسكن في الكاظمية فأبرقها منها . أما أنا فمرتاح والحمدلله في دارنا ومنصرف الى الدرس ولا سيا تلاوة القرآن الكريم . صحتي أحسن كثيراً والحمد لله .

اكتب اليك اليوم بعض ملاحظاتي المختصرة عن وضع الاسلام في عالم اليوم وبهذا انهي رسائلي لك عن الاسلام :

١) استيقظ المسلمون (مع الكثير من شعوب العالم الناهضة حديثاً) على أثر اندلاع حربين عالميتين على صوت القنابل وأنين المكلومين. وذلك بعد ان ذاق اكثريتهم مرارة الاستعمار وظلم الحكام المستبدين واستغلال الزعماء الجُهال الطامعين. ولا يعنى هذا ان لم تكن هناك في كل عهد من العهود الماضية دعوات خيّرة وأصوات نيّرة وقيادة صالحة تدعو المسلمين الى الصلاح والاصلاح ولكن هذه الصيحات كانت في الغالب فردية ووقتية وكان الاثر الذي تتركه في المجتمع ضئيلاً نسبياً .

٢) إن التيقظ السياسي في العالم الإسلامي الحديث ادى إلى استقلال اكثر من عشرين دولة اسلامية. فمعظم الاقطار الاسلامية مستقلة سياسياً اليوم. وإن كان معظمها ضعيفاً حديث عهد بالاستقلال . وفي العـــالم اليوم ما يقارب الخمسمائة مليون مسلم. فمعظمهم غير

متعلمين ولا يعرفون عن دينهم الشيء الكافي . واما المتعلمون فمعظمهم لم يدرسوا دينهم دراسة وافية . حتى ان بعضهم تنكّروا لدينهم . والاقليـــة الضئيلة التي تدرس الدين وتتخصص فيه تدرسه بطريقة قديمـــة جامدة على الاكثر . إذن فنستطيع القول بان اكثرية المسلمين لا يعرفون الاسلام ولم يدرسوا القرآن دراسة تفهم وتمعن . فالاسلام يكاد يكون غريباً بين المسلمين، والقرآن الكريم قَلَّ مَا يُتلىٰ ، وإن تُلِيَ قَلَّ ان يفهم : « وقال الرسولُ يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القُرآنَ مَهْجوراً » (الفرقان ٣٠) . فالمجـــتمع الاسلامي متخلف في تفهم العقائد الاسلامية وفي أداء الفرائض وفي اتباع احكامه الشرعيـــة وفي التخلق بالاخلاق الاسلامية السامية . وسبب ذلك يرجع إلى نقص في الثقافة العامة وفي الثقـــافة الرسمية ، فالبيت والمدرسة ورجال الدين والزعماء والقادة كلهم مسؤولون

عن تربية المسلمين تربية اسلامية صحيحة ولكنهم في الغالب مقصرون في ذلك .

٣) تيقظ المسلمون فوجدوا انفسهم امام خصوم ألداء في الداخل والخارج . أما في الداخـــل فهم قد يجابهون القادة الرجعيين الجامدين، ثم الشبيبة التي تدعي بانها مثقفة وهي لا تحمل من الثقافة أكثر من طـــلاء خارجي . ولا تنسى جمود أكثرية المسلمين وجهلهم ثم وقوعهم احياناً فريسة لدعايات ضالة ومضللة، يقوم بها حملة مبادىء وافـدة تنسف كياننا الاسلامي من الاساس . أما من الخارج فالاسلام يخاصم الاستعمار الغربي والصهيونية والشيوعية .

٤) اعتبر الغربُ الإسلامَ خصمه اللدود منذ اول ظهوره . وكان يخشى استيلاء المسلمين على أوروبا كلهـــا . لا شك في انك قرأت شيئاً عن الحروب

الصليبية التي شنها الغرب على المسلمين . إن هـذه الحروب جاءت بعد افتتاح المسلمين لاقطار مسيحية شاسعة . وهذه الحروب بين الطرفين لم تنقطع حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ثم إن المبشرين المسيحيين حاولوا كثيراً نشر الدعايات المغرضة ضـد الدين الاسلامي وضد النبي ﷺ بالذات . فمواضيع تعدد الزوجات والطـلاق وانتشار الاسلام بالسيف من المواضيع المعروفة التي اتضح للمنصفين تجنّي المبشرين على الاسلام حين بحثها . وبما انها مواضيع أكل الدهر عليها وشرب بانها لم تعد تستحق الأخـذ والردّ . ولكن المسلمين اليوم ، كالمسيحيين في الماضي ، استفادوا من خصومهم فتعلموا منهم وتثقفوا بثقافتهم ، فلم يعودوا يخشون ثقافة الغرب ولا تبشير مبشريه وذلك لثقتهم بانفسهم . وفي الحقيقة لو رجعنا إلى الاسس الدينية الاصلية لما وجدنا فروقاً اساسية بين الاديان السماوية .

فالدين الاسلامي ما جـــاء ناسخاً للاديان السماوية التي سبقته بل جاء مكملاً ومنقحاً لها . فليس هناك سبب معقول لاستمرار الخصام بين الاسلام والمسيحية : «قل يا اهل الكتاب تعالو الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبُدَ إلاَّ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتَّخِذَ بعضنا بعضاً ارباب من دون الله ... » (آل عمران ٦٤) ولذلك فلا بـــد من نهاية عاجلة للخصومة بين الاسلام والمسيحية. حتى ان البعض من مفكري الطرفين اخذوا يدعون الى الاجتماع والتفاهم حول الامور الاساسية المتفق عليها بين الاسلام والمسيحية، وهي كثيرة، واكثر بكثير من الامور المختلف عليها . أما الاستعمار الغربي فيجب ان يموت سريعاً ويقبر نهائيـــاً لتستريح منه البشرية والغرب صار يسلّم بذلك طوعاً او مكرهاً .

٥) لا شك في ان اسوأ ما تركه الغرب من تراث،

حين سيطر على العالم الاسلامي ، هو اسرائيل ، الدولة الصهيونية المعتدية • فهذه الدولة اللقيطة هي من تراث الغرب مباشرة ولولاه لما كانت . ولا شك في ان وجود اسرائيل في الوقت الذي يشرد فيه ابناء فلسطين الشرعيين هو أعظم تحدّ للمسلمين جميعاً . فلن يستعيد المسلمون كرامتهم وشرفهم حتى يرجع الحق الى نصابه في فلسطين •

٦) الشيوعية هي اعظم خصم خارجي - داخلي للدين الاسلامي • فالشيوعية دين مادّي لا يعترف بالخالق الأعظم للكون ولا يعترف بالحياة الروحية • فالشيوعية تنسف الاديان السماوية من الاساس واسلوبها عنيف وهي تسيطر على الجماهير بالإغراء وبالعنف معاً • وهي لا تعترف بحرية الفرد وكرامته . بل على الفرد ان يخضع لسلطة عليا هي سلطة الحزب ، وقد تتمركز

هذه في يد فرد او افراد قلائل يقودون الحزب ، كل ذلك باسم الحرية والعدل ومكافحة الاستغلال ولكنها هي الاستغلال للفرد باقسى معانيه .

إذن فالشيوعية يجب أن تصبح حافزاً قوياً للاسلام لِيَظْهَر عَلى حقيقته ويُظهر عظمته ويُظهر حقيقته في توجيه البشرية نحو التوحيد، التوحيد المقرون بالخير والرحمة والأخوة والمساواة بين الناس جميعاً .

٧) بالرغم من ضعف حال المسلمين وقوة خصوم الاسلام ، فان الدين الاسلامي ينتشر اليوم في العـــالم بالطرق السلمية بشكل يدعو إلى الدهشة والاعجاب. فقد ورد في جرائد ومجلات انكليزية وامريكية ان عدد المسلمين في افريقية قد زاد في العشر سنوات الاخيرة اكثر من عشرة ملايين ، كما انه ينتشر تدريجياً في الشرق الاقصى وفي اوربا وامريكا . استمع إلى

صديقك السيد كَارلند هوبكنس الذي زار افريقية في السنة الماضية يقول في مجلة نيوز ويك في عددها الصادر ٣ (اكتوبر) تشرين الثاني ١٩٦٠ : « ان المسيحية في افريقية قوة مفروغ منها ، فهي في نظر الاهالي دين الاستعمار ودين الرجل الابيض، أما الاسلام فهو قويّ ونامٍ . وربما كان الاسلام اكبر حركة مقاومة للشيوعية في القارة . وأحسن سياسة لنا هي ان نتعاون معه » . اي مع الاسلام . والسيد هوبكنس من العقلاء المتزنين في تفكيرهم .

٨) اني اعتقد ان للاسلام مستقبلاً زاهراً في هذا العالم الذي تتصارع فيه العقائد والمبادىء، فهو يحمل كل امكانيات الرقي والتطور للانسانية كما انه دين عملي واقعي ولكن تحقيق ذلك يتوقف على ما يلي :

ا) ان يقوم في المسلمين علماء يفسرون الاسلام

تفسيراً واقعياً حديثاً يأخذ بعين الاعتبار العلم الحديث والفلسفة الحديثة والتيارات الاجتماعية المعاصرة . إن بعض من يعالجون القضايا الاسلامية يندفعون وراء الآراء والمبادىء الغربية جزافاً والبعض الآخر يجمد كثيراً على الآراء والقوالب القديمة التي ليست من جوهر الدين في شيء . فما نريده هو علماء يدرسون الدين الاسلامي من منابعه الاصلية الصافية، وفي الوقت نفسه يعرفون التيارات الفكرية والاجتماعية الحديثة فيطبقون الدين الاسلامي على واقع الحياة الحديثة .

ب) قيام المسلمين بتثقيف شعوبهم ثقافة اسلامية صحيحة والعناية بتدريس القرآن الكريم والاستفادة من تعاليمه في الحياة اليومية بصورة عملية.

ج) التقريب بين المذاهب الاسلامية فيقضى على ما بين ابناء المذاهب من ابتعاد وتعصب . فجمعية

التقريب بين المذاهب الاسلامية الموجودة في القاهرة يجب ان يتوسع نطاق عملها او ان ينسج على منوالها في كل قطر اسلامي .

د) ان يحسن المسلمون معاملة ابنـــاء الاديان الاخرى ولا سيما الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، فيكونوا قدوة للعالم في التسامح وحسن المعاملة ، الامر الذي يجذب ابناء الاديان الاخرى الى الاسلام .

ه) ان تنشأ منظمات اسلاميـــة مركزية علمية واجتماعية ودينية، يشترك فيها قادة الفكر من مختلف الاقطار الاسلامية ، ليتدارسوا شؤون المسلمين ويضعوا الخطط للترابط والتعاون بين الاقطار الاسلامية . ثم انشاء مجلس اسلامي اعلى يكون مركزاً لرابطـــة الشعوب الاسلامية .

هذه بعض ملاحظات عن الاسلام في عالم اليوم

وهي تحتاج إلى المزيد من الدرس والتفصيل • وأمام الشباب المسلم اليوم فرصة ذهبية ليقوم بهذا الدرس ويضع الخطط لاعلاء شأن الاسلام ورفع مستوى المسلمين :

« هو الذي أرسل رسولَه بالهُدىٰ وَدينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على الدّين كله وكفى بالله شهيداً » (الفتح ٢٨) .

سلامي لمن يسألك عني

واسلم لأبيك
فاضل

•

بغداد في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٦٠

عزيزي اسامة :

بعد السلام عليك ادعو الله لك بالتوفيق والصحة الكاملين . سررت بكتابك سروراً عظيماً ولا سيما لانكبابك على الدرس . وتفكيرك في القضايا الهامة .

لقد سألتني عن موضوع فلسفي ديني عويص وما المسؤول بأعلم من السائل فإني، مثلك افكر وابحث في هذا الموضوع كطالب مبتدىء ليس اكثر ،وهأنا احاول أن ألخص لك رأيي بكل اقتضاب :

١) نحن كمسلمين نؤمن بعدالة الله المطلقة وبعلمه الازلي وباليوم الآخر .

٢) إن الله جل وعلا خلق الكون بما فيه

الانسان وفق نواميس وقوانين ، بما في ذلك قانون التطور ومواهب الانسان :

ا) ادراكاً ومواهب يكتشف بها هذه القوانين ويتعرف عليها .

ب) ارسل رسلاً وانبياء وأئمة وعلماء ، ليرشدوا الانسان ويساعدوه على ادراك هذه القوانين واستثمارها للخير ، وعلى تنظيم العلاقات بين الانسان وخالقه وبين بني البشر جميعاً ، كما يساعدوه على معرفة الخير والشر . قال تعالى « إنا هديناه السبيلَ إما شاكراً وإما كفوراً » (سورة الدّهر - جزؤُ تبارك) .

« ألم نجعل له عينين ولساناً وشَفَتَيْنِ وهديناه النَّجْدَيْنِ » (سورة البلد جزؤُ عم) .

٣) إن حرية الانسان تزداد بنسبة معرفته ومسايرته

للقوانين الالهية في الكون وبنسبة اطاعته لتوجيهـات الرّسل . ومسؤولية الانسان تقاس لما وهبه الله من عقل وادراك وامكانيات لاستثمار هذا العقل والادراك . فالحرية والمسؤولية متلازمتان الواحـدة بالأخرى . فكما ان الحرّية تنمو وتتسع باتساع العقل وحسن استثماره ، كذلك المسؤولية تنمو وتكبر بازديادالحرية فمن اهمل استعمال عقـله ومواهبه او أساء استعمالها فهو مسؤول أمام الله تعالى ويحاسب في الدنيا والآخرة او فيهما معاً ، عما يعمله «فمن يعمل مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَه ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره» (سورة الزلزال: جزء عمّ) .

٤) لا شك في ان تقدم البشرية في كشف اسرار الكون ومعرفة اهدافه العليا لا يزال في بدايتـه ، فالبشرية توصلت توّاً إلى أقرب جرم من الارض

وهو القمر ، ولا يزال امام البشرية قوى هائلة واسرار عظيمة في الكون لم نتعرف عليها بعد ولم نتمكن منها ، وربما كانت اعوص مشكلة امـــام البشرية هي معرفة النفس البشرية وتوجيهها التوجيه الالهي الصحيح .

٥) إن الله سبحانه وتعالى ، وهو مصدر الخير والمحبة والرحمة ، يحاسبنا على قدر ما وهبنا من عقل وادراك وهداية ، فنحن احرار في تصرفاتنـــا بدرجة محدودة بالعقل والادراك والهداية . والحساب والمسؤوليـــة يتناسبان مع درجة ما نكتسب من حرية . فنسأله الرحمة والهداية لابناء الانسانية جميعاً ونعوذ به من شرّ الشيطان الرجيم ومن النفس الامّارة بالسّوء إنه غفور رحيم .

سلم على من تقابله من الاساتذة والاصدقاء الذين يتذكرونني واسلم في رعاية الله .

أبوك فاضل

العلاقة بين الدين والدولة
وخطل اللادينية والعلمانية

١) إن العلاقات القائمة بين الدين والدولة في العصر الحاضر يمكن تصنيفها على الوجه التالي :

ا) دولة لا تعترف بالاديان : بل تكافحها وتعتبرها « افيون الشعوب » فالدولة تعمل على تنشئة جيل لا يعرف شيئاً عن الدين او الحيـاة الروحية . فموقف كهذا تقفه الدولة إزاء الدين يمكن ان ننعته «بالسلبية» وهو الحال في دول المعسكر الشيوعي اليوم .

ب) دولة لا دخل لها بالدين : فحياة الانسان المادية والسياسية ترعاها الدولة ، أما الحياة الروحية فيرعاهـا رجال الدين . والاثنان لا يلتقيان . وهذا ما يسمى

علمانية ، وهو ما تمارسه الولايات المتحدة الامريكية
فرنسا وتركية وغيرها . فالدين لا يدرس في المدارس
عامة في هذه البلاد ، والاحوال الشخصية ترعاها الدولة
بقطع النظر عما يقوم به رجال الدين من رعاية
روحية للمتدينين .

ج) **دولة تدين بدين اكثرية السكان** وترعى الشؤون الروحية إلى جانب الشؤون الزمنية لسكانها، على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، مع ضمان الحرية الدينية والمساواة في الحقوق والواجبات لكل أبناء البلاد كما هو الحال اليوم في بريطانيا والدول الاسكندينافية وايران والباكستان والعراق وبرما وغيرها . فالمدارس في هذه البلاد تعنى بتربية الطلاب تربية دينية إلى جانب التربية الفكرية والصحية والعملية . والمرء حرّ في معالجة قضايا « الاحوال الشخصية » لدى المراجع الدينية التي ترعاها الدولة .

٢) نحن نختلف مـــع الدول الشيوعية اختلافاً جوهرياً في مقاومتها للدين وللحياة الزوجية لاننا نعتقد ان الحياة الدينية الصحيحة هي اسس مظاهر الحيـــاة الانسانية • فالانسان المتدين يؤمن بوجود خطة كونية تسير بموجبها الانسانية وتخضع لارادة الهية مُوَحّدة ومحرِّرة للانسانية جمعاء. أما الانسان المجرد عن الدين وعن الحياة الروحية فقد يهبط روحيـــاً وخلقياً إلى مستوى العجماوات . ولئن الانسان يملك قوى مـادية هائلة اليوم ويسيطر عليها فان هـــذه القوى هي التي ستسيطر عليه عاجلاً ام آجلاً ، إذا تجرد من الروحيات التي جاءت بها الاديان وما تحمله هذه الروحيات من فضائل المحبة والرحمة والاخوة بين الافراد والشعوب•

٣) اذا سلمنا باهمية الدين وضرورته لحياة الانسان فلا يجوز في نظرنا عزل الدين عن الدولة . إن عزل

الدين عن الدولة بـــدأ في ظروف تاريخية خاصة في اوربا ، حين كان الصراع بين الكنيسة وبعض ملوك اوربا صراعاً عنيفاً ، وحين كان الصراع بين الطوائف المسيحية الواحدة مع الاخرى يسبب حروباً دموية تدوم عشرات السنين ، وحين كان المتعصبون من رجال الكنيسة يقاومون النظريات العلمية الحديثة . كل هذه جعلت بعـــض الساسة المفكرين من عشاق الحرية والسلام والاستقرار آنذاك يلجأون إلى فصل الدين عن الدولة . أما اليوم وقد انتشرت الثقافة العامة بين الشعوب، واصبحت الحكومات المدنيـــة غير خاضعة لرجال الدين ، واصبح التسامح والتآخي بين الطوائف من الامور المتفق عليها بين العقلاء من الناس في كل مكان، وأصبح العالِمُ او الباحث حراً طليقاً في ابحاثه وفي الاعلان عن نظرياته ، فلا يعيقه احـــد في تحرياته العلمية الخالصة ، فلم يبق مبرر لفصل الدين عن الدولة اي

للعلمانية . بل يمكننا القول ان العلمانية اليوم هي بمثابة حركة رجعية . رجعية من حيث تاريخها ، فقد زالت الظروف التاريخية التي كانت تتطلبها . ورجعيَّةٌ من حيث جعلها الدولة تهمل واجباً من أهمّ واجباتهـا وتنكمش عن تأديته ، ألا وهو الاهتمام بارواح رعاياها الى جانب أجسادهم وعقولهم .

٤) نحن نؤمن بضرورة قيام دولة مدنية متدينة تقوم في البلاد العربية والاسلامية ، دولة تعنى بحيـاة الانسان مادياً وروحياً عناية غير مجزأة ولا منشطرة، فوحدة حياة الانسان مادياً وروحياً معاً هو ما يجب ان تعنى بها الدولة . فاذا كانت الدولة تعنى بالناحية الصحية والفكرية والاجتماعية للانسان فأي معنى واي منطق يبرّر اهمالها الناحية الروحية ؟ إذن فالدولة يجب ان تكون متدينة بدين اكثرية السكان ولكنها

الوقت نفسه يجب ان ترعى شعور ابنـــاء الاديان
اخرى ومصالحهم الدينيـــة على قدم المساواة، فتعنى
بئة فرص التعليم الديني للجميع على اختلاف اديانهم
يجب ان تعنى بالاحوال الشخصية مـــن زواج
يراث ومؤسسات خيرية وتعبدية للجميع . وعلى
ولة المتدينة في الوقت ذاته ان تنمي روح التسامح
بني والتآخي بين ابناء الوطن . وان تكافح التعصب
ائفي والجمود الفكري لدى الجميع ، فما يجب ان تقوم
الدولة هو القضاء على عوامل التفرقة والتعصب التي
رأ منها الدين الصحيح وليس الابتعـــاد عن الدين
الانعزال عنه كما تريدنا العلمانية ان نفعل .

٥) إن الدين الاسلامي لحسن الحظ دين تسامح
تاخي . وقـــد اثبت التاريخ الاسلامي ان المسلمين
كانوا دوماً متسامحين كرماء مع ابناء الاديان الاخرى.

وها هو عهد عمر بن الخطاب لرجال الدين المسيحيين عند فتح القدس الشريف، فانه مثل من امثلة التسامح الديني السامية التي يتخلق بها المسلمون إزاء أبنـــاء الاديان الاخرى . وليس غريباً ان يكون مفتـــاح كنيسة القيامة في القدس الشريف بيد المسلمين الى يومنا هذا ، وذلك لان الطوائف المسيحية اتفقت على ان تودع هذا المفتاح لدى المسلمين ثقـــة بهم . أما رحابة صدر الاسلام في تلقي مختلف نظريات العلوم والفلسفة فلا تختلف اليوم عما كانت عليه في ايام ازدهار العصر العباسي ، إذن فاستعداد المسلمين لتنمية روح التسامح واحترام الحرية الدينية للجميع وابتعادهم عن التعصب الأعمى والجمود الفكري يجعل التفكير بالعلمانية مسألة تقليد أعمى للغير ليس إلا .

٦) نحن لا نعتقد بان العلمانية حققت أهدافها في البلاد التي طبقت فيها ، بل وقعت في تناقضات واضحة

ولا سيما في حقل التعليم . لا شك في ان الهدف الاول من العلمانية في التعليم هو ضمان وحدة ابنـــاء المذاهب المختلفة في الامة الواحدة، ولأجل ذلك ابعدت الثقافة الدينية عن المدارس العامـــة في كل من فرنسا والولايات المتحدة الامريكية . ولكن أبناء الشعب الذين يؤمنون باهمية الثقافة الدينية اضطروا إلى ارسال ابنائهم إلى مدارس دينية خاصة بـــدل ارسالهم إلى المدارس العامة . وبذلك وقع ابتعاد بين ابناء الطوائف الدينية المختلفة اقوى من الابتعاد الذي كان يحصل فيما لو كانوا جميعاً في مدرسة واحدة ، وكان ابنـــاء كل طائفة دينية يتلقون دروسهم الدينيه في ساعة معينة في المدرسة ذاتها . لا سيما اذا كانت ادارة المدرسة تؤكد نواحي التآخي والتسامح بين ابناء الاديان والمذاهب المختلفة . وها إن هيئـــات المدارس الدينية الخاصة الواسعة الانتشار في كل من فرنسا والولايات

المتحدة الامريكية تطالب اليوم بمساعدات حكومية لهذه المدارس الخاصة التي تؤدي خدمـــات عامة . ولكن الدستور العلماني لا يسمح بذلك . فهناك صيحات واعتراضات مناقشات في كل من البلدين .

أما في تركية فقد اسس المرحوم مصطفى كمال العلمانية كردّ فعـــل ضد الخلافة العثمانية، وما كانت تنطوي عليه من قوى رجعية، وذلك بعد الحرب العالمية الاولى . ولكن الشعب التركي المسلم لم يتقبل هذه العلمانية ولم يهضمها، ولذلك جاء الحزب الديمقراطي معبراً عن مشاعر الشعب التركي حين قام المرحوم عدنان مندريس بتشييد ما يقرب من الفي مسجد في القرى التركية وقام بتجديد الجوامع العظيمة الجميلة في استانبول. وقد اعتبر البعض المرحوم عدنان مندريس رجعياً من اجل سياسته هذه . وفي الحقيقة انه قام بتلبية

رغبة ملحة من رغائب الشعب التركي وهو رجـــل مجدد وليس رجعياً ، ولكنه كان يؤمن بالله وبالاسلام كما يؤمن بأهمية الدين الصحيح في حيـــاة الشعب وتوجيهه نحو الخير والفضيلة ·

٧) قد يكون تطبيق العلمانية في البلاد المسيحية اسهل منه في البلاد الاسلامية ، وذلك لما جاء في انجيل متى من ان « ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وقد يكون الأهم من ذلك ان المسيحية لم تشتمل على تشريعات تفصيلية واسعة تؤثر على الحياة الاجتماعية والمعاملات اليومية للفرد والجماعة . أما الدين الاسلامي فبالإضافة إلى احتوائه على العقائد والعبادات والاخلاق ، فإنه جاء بنظام اجتماعي شامل يمسّ حياة الانسان في شتى مناحيها من المهد إلى اللحد ، وهو نظـــام يتفق مع صميم طبيعة الحياة الانسانية ، كما تمثلت في نشوء الامة العربية · وقد

اكد غير واحد من اساطين علماء التشريع في العالم أهمية الشريعة الاسلامية، وما تحويه من ثروة زاخرة واستعداد لمجابهة الظروف والاحوال المتطورة . وما تشريع القانون المدني الحديث في كل من مصر وسورية والعراق على اسس اسلامية سوى دليل على ذلك . فعلمانية الدولة في البلاد الاسلامية معناه تنصل الدولة من الشريعة الاسلامية ، اي من اهم عامل من عوامل توجيه حياة الشعب اليومية، اضف ذلك إلى تنصلها من الحياة الروحية كما تتطلب العلمانية ذلك.

ولئن كانت العلمانية لا تلائم الشعوب الاسلامية بصورة عامة، فإنها لا تلائم الامة العربية بصورة خاصة وذلك لان الامة العربية هي مدينة للاسلام في تكوينها الحاضر ويجب ان تكون حاملة رسالة الاسلام إلى الانسانية جمعـاء . فالفصل بين الدين والدولة معناه

تجرد الحكومة العربية من اهم مقوماتنا القومية. فالامة العربية، منفصلة عن الاسلام وعن رسالته، تصبح كجسم منفصل عن حياته وعن روحه، والفصل هذا يجعل من الجسم قشراً فارغـاً لا لب فيه. وما اسهل دخول المبادىء الوافدة على اختلاف انواعها لتملأ الفراغ في القشر الفارغ.

★

مُلحَق

الإسلامُ وَالمَدَنيّاتُ الغَربيّة الحَديثة

الخطبة القيمة التي القاها حضرة الدكتور فاضل الجمالي ف
حفــلة جمعية الشبان المسلمين لمناسبة ذكرى المو
النبوي الشريف .

سيداتي . سادتي :

لم تكن دراسة شخصية النبي العربي في اي دور من ادوا
التاريخ الاسلامي الزم منها لحياة الامة منها اليوم . فلو تلفت
الى ما حولنا لوجدنا تضارباً في آرائنا وفي مبادئنا وتراخياً
اخلاقنا بسخاء لم يشهد التاريخ مثــله . والاسباب واضح
وطبيعيه . ونظرة الى حالة الاسلام والمسلمين تنبئنا بان هناك ش
واسعاً وهوة سحيقة بــين الاسلام والمسلمين اليوم، فمنذ تشاغل
المسلمون وتماهلوا في تفهم حقيقة دينهم وروحيته، بل منذ تركو
ابــاب الدين ظهرياً واهتموا بالزخارف، فاكتفوا بالتقالي
والخرافات، ومنذ صاروا يسمون الجمود وضيق الفكر تدينــ

وبكلمة واحدة منذ صاروا يعيدون تمثيل ادوار الحياة الجاهلية تلك الحياة التي حاربها الاسلام بكل قواه .

أصبح الاسلام بواد والمسلمون بواد ، لا يدرك احدكم اساء المسلمون الى سمعة دينهم، الا الذين يحتكون بالاجانب ويسمعون احكامهم القاسية بحق الاسلام ، تلك الاحكام غير المنصفة والمنبعثة عن اغراض ومقاصد شتى ، ساعدهم على ابدائها تصرف المسلمين وسلوكهم الجامد تصرفاً وسلوكاً بعيدين عن جوهر الدين الاسلامي الحنيف .

أجل لقد خيم الظلام على المسلمين، منذ فقدوا حرارة الايمان ومنذ اوقفوا البحث والتفكير في المسائل الدينيــة والابحاث العلمية الحرة ، ومنذ امتنعوا عن الاستفادة من تعاليم القرآن الكريم الحاثة على دراسة الطبيعــة ودراسة النفس ودراسة التاريخ والاستفادة من كل ذلك . وقد رافق هذا الجمود الفكري عند المسلمين انحطاط سياسي وانقسامات في الملك، أدت الى قيام ملوك لم يكن دأبهم سوى حب التسيطر واشباع الشهوات فلم يكن ليهمهم النمو الديني المستمر ولا رقي المسلمين .

ايها السادة : نظرة واحـدة الى مجتمعنا الاسلامي الحاضر تكفي لتدل بان حرارة الايمان تكاد تكون مفقودة، وان معظم رجال الدين جامدون في وجهة نظرهم الى الحيـاة الجديدة، وان عامة الناس جاهلون لا يعرفون عن دينهم شيئاً ، وان معظم

الشباب منصرف عن الدين، لجهله اولاً وبتأثير التيارات الغربيـة ثانياً ، ونجد الاخلاق العامة متراخية والانانيــة سائدة وعروة الوحدة منفصمة .

وبينما نحن بهـذه الحالة ، واذا بالغرب يداهمنا بالسيارات والطيارات والدبابات والمدافع والسينما والراديو والتلغراف والتلفون بالتنظيمات والعدد، ويا ليت الغرب اتحفنـا بمخترعاته وبعلومه وتنظيماته وكفى، واذ ذاك لما كان علينا من خطر، ولكنه تصدى الى روحياتنا ومعنوياتنا واخذ ينخر فيها نخر السوس في جذور الشجرة الجبارة، فقد جاءنا نوع من الآداب الاجتماعية الرخيصة ومن الاباحية الجنسية المفرطة ومن تراخ في الاخلاق ينـذر بالخطر .

واخذت تسود افكار شباننا فلسفة مادية بحتة ، تصحبها مبادىء شيوعية هدامة او لاادرية تجعل بعض الشباب كريشة في مهب الريح طائرة ، لا مبدأ لهم ولا ايمان ولا اتجاه معين ولا فلسفة ايجابية عالية .

أجل ان الخطر المحدق بالمسلمين ولا سيما الشباب منهم عظيم ، فهم ما بين جمود ورثوه من القرون المظلمة السالفة، وما بين فيضان المدنية الغربية الجارف . ولا منقذ ايها الاخوان من هذا الموقف العصيب سوى محمد (ص) ولا فلسفة ايجابية سوى فلسفة القرآن هذا ما يجب ان نفهمه في هذه الليلة المباركة وهذا ما ادعو اليه.

ان نصيحتي الاولى والاخيرة لاخواني الشباب المسلمين هي ان يرجعوا الى القرآن وان يكثروا من تلاوته قدر المستطاع ، فانهم كلما اكثروا من تلاوته كلما ازدادوا نوراً وهدى يقرأغير المسلم القرآن فيتلذذ ببلاغته واسلوبه ، اما المسلم ففوق التلذذ بالبلاغة والاسلوب يجد ما يهديه في ظلام بحار هذه الحيـاة . أجل ان الشباب المسلم اذا درس شخصية النبي (ص) وتعرف على اخلاقه، ثم اذا تعمق في دراسة القرآن دراسة صحيحة من جهة، ومن الجهة الاخرى اذا حلل المدنيات الغربية الى عناصرها تحليلاً مجرداً عن الشهوات والاهواء، استطاع ان يستفيد من كل ما هو مفيد في المدنيات الغربية وان يقي نفسه فيها من الشرور .

سيداتي . سادتي :

اذا حللنا المدنيات الغربية على اختلافها وجدنا عناصر القوة فيها عبارة (١) عن البحث العلمي الدقيق وتطبيق نتائجه على الحياة (٢) القومية على اختلاف تحديدها عند الامم المختلفة وما يتبع ذلك من كفاح وتنازع بقاء (٣) التنظيم والاصلاح الاجتماعي .

ولا اظن مسلماً درس شيئاً من القرآن دراسة بسيطة يجد اية صعوبة في التوصل الى ان الاسلام جاء بكل هذه الاسس على احسن شكل . وباجلى ما يمكن ان تصل اليه اية مدنية . اما البحث العلمي الدقيق فنجد القرآن الكريم مملوءاً بالحث عليه

فضلا عن الاحاديث المتواترة في هذا الباب فان الحث على دراسة الطبيعة .والتأمل في مخلوقات الله هي اساس العلوم الطبيعية وهي ما يدعو اليها القرآن الكريم في اماكن متعددة . واما دراسة تاريخ الامم والاعتبار بحياة الامم الماضية فهي طريقة القرآن المثلى في الاقناع وهي الاساس لدراسة العلوم التاريخية والاجتماعية دراسة مضبوطة . وليس ادل على اهتمام الاسلام بالعلوم من اهتمام المسلمين انفسهم بالعلوم في ايام الدول الاسلامية الزاهرة ، فنظرة سريعة الى التاريخ تعرفنا بالكيماويين والفلكيين والرياضيين وعلماء التاريخ الطبيعي من المسلمين .

يدعي البعض ان المسلمين اخـــذوا مدنيتهم عن اليونان والحقيقة انهم استقوها من القرآن واستعانوا في ذلك باليونان . وكم حاول بعض الفلاسفة المسلمين ان يوفقوا بين آراء اليونان ونص القرآن، ولكنهم عبثاً حاولوا، فقد اظهر نمو العلوم الطبيعية اليوم خطأ الكثير من النظريات اليونانية وصدق القرآن فيها . وكم قام بفضل الاسلام رجال من العلماء وضعوا الاسس لأكثر النظريات والاساليب العلمية الحديثة . ان جمود المسلمين بعـــد زوال دولهم وتحكم من ليس باهل للحكم فيهم هو الذي اوقف نمو العلوم وازدهارها عندهم ، بل هو الذي خلق فيما بعد من رجال الدين المقاومين لكل نظرية علمية جديدة . ان علماء الاسلام في القرن الماضي اخذوا يتخوفون من النظريات العلمية الطبيعيه الحديثة، زاعمين انها مخالفة للدين، والحقيقة ان القرآن هو نصير كل

نظرية علمية متى ثبتت صحتها. وربما كان الحاد بعض المنتسبين الى العلوم الطبيعية هو الباعث للتخوف من هـــذه النظريات والحقيقة ان هؤلاء الملحدين او المتبجحين بالالحاد ليسوا بالعلماء الحقيقيين، فلا يجسر واحد من العلماء الحقيقيين ان يجاهر بالالحاد بل بالعكس، فانا نشاهد ان الكثيرين من هؤلاء قد نشروا حديثاً ابلغ الكتب الدينية الروحية واكثرها اقناعاً بالايمان ويكفي ان نذكر بهذا الصدد اسماء الاساتذة : ميليكان ورايتهد والسير اولفرلوج .

اود ان اذكر هنا لا سيما للشبان الذين تلقوا دراستهم من الجامعات الغربية بان العلم والاسلام ندان والاسلام بكليته نصير للعلم الصحيح، فما على المسلمين اليوم الا ان يقتبسوا اساليب العلم الحديثة من الغرب وينكبوا على البحث والاستقصاء .

٢ — اما الظاهرة الثانية للمدنية الغربية الحديثة وهي القومية فهي موجودة في الاسلام . والقومية رابطة او مجموعة روابط بين جماعة من البشر تكون منهم وحدة سياسية . وربما كانت الرابطة الغالبة فيها عند معظم الامم هي العنصرية اي الدم واللغة الغالبين . يدعي البعض ان القومية هي وليدة القرن التاسع عشر، وانها فكرة وقتية زائلة، لاسيما وقد ولدت القوميات من التطاحن والحروب ما بين البشر ما اتعب الامم على اختلافها. وبينا نسمع دعاة اللاقومية يتمشدقون بدعايتهم، واذا بايطاليـا

الفاشيستية تنهض بقومية ملتهبة، واذا بهتلر يضع لالمانيا مثالا اعلى للعزة القومية، واذا بالهند تطاحن انكلترا على اساس قوميتها واذا الصهيونيون يغزون بلاد العرب باسم قوميتهم ، واذا تركيا الفتاة تستقتل في سبيل المحافظة على كيانها القومي، واذا بجارتنا ايران تبذل الجهود الجبارة في سبيل بنائها القومي .

والحقيقة ان القومية هي نبراس الحياة في كل امة من الامم وفي كل شعب من الشعوب . يدعي البعض ان الشيوعية هي ضد القوميات وهذا غير صحيح، فالبلشفيك انفسهم يعترفون بالقوميات المختلفة ويغذونها، كما ان تفريقهم للقوميات المختلفة مما يفحم بعض دعاة الشيوعية والقائلين باللاقومية ويسكتهم . القومية كوحدة العائلة هي خطوة طبيعية في تاريخ نشوء الجماعة البشرية، ولم تكن القومية بنت القرن التاسع عشر كما يدعي طلاب التاريخ الحديث، فالقومية باطوار مختلفة موجودة منذ التاريخ القديم، وما جاء الاسلام هادماً للقوميات بل جاء معترفاً بها مبعداً لشرورها فما قوله عز من قائل « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » سوى اعتراف صريح بالقوميات، ووضع مثال اعلى للعلاقات بين الاقوام والدول . جاء الاسلام فجعل من العربي والفارسي والتركي اخوة فقال « إنما المؤمنون اخوة » ولم يبدل جنسية العربي او الفارسي أو التركي . وليس من تضارب بين وجود كيان عربي وآخر فارسي وآخر هندي وآخر تركي، مع

وجود تآخ بين الجميع . فالاسلام جامعة امم وليس ناكراً لوجود هذه الامم . ان ما يلاحظه الانسان في القومية الغربية اليوم هي قحتها وحبها للتسيطر والاستغلال ، واانانيتها المفرطة وهذا ما يؤدي الى الحروب والفوضى في سياسة العالم اليوم ولا دواء لهذا سوى الاسلام ولا خلاص للعالم الا بتعاليمه .

وصفوة القول فنود ان نؤكد هنا بان القومية التي هي أهم ظاهرة في المدنيات الغربية هي موجودة في الاسلام وموجودة بشكلها الاعلى والابعد عن المخاطر والاهوال ، فما على الامم الاسلامية اليوم الا ان تجاهد في سبيل تشييد الابنية القومية على اساس من العقائد الاسلامية .

٣ - الظاهرة الثالثة للمدنيات الغربية هي استعدادها الدائمي للاصلاح الاجتماعي ، وسنها القوانين والتشريع في سبيل معالجة مشاكل العائلة وحياة العامل وحياة الفلاح وتحسين الحياة في المدن وفي القرى وتنظيم توزيع الاراضي وجباية الضرائب على اختلافها وتنظيم التشكيلات الاقتصادية والمالية ، الى غير ذلك مماتوصلت اليه الحياةالمدنية الحديثة . أماالمسلمون فهم في معزل عن هذه الاصلاحات اليوم بينما الاسلام وتعاليمه تعطينا افضل الاسس لاجراء كل هذه الاصلاحات ، ولكن علماء الاسلام بدل ان يأخذوا على عاتقهم الدعوة الى هذه الاصلاحات والاستفادة من التعاليم الدينية في سبيلها صاروا ويا للاسف يتلهون بالالفاظ

وبالاعراض غير مهتمين بالجوهر . ومما يؤسف له كل الاسف غلق باب الاجتهاد الديني عند معظم المسلمين وعدم الاستفادة منه عند القسم الآخر . وذلك منذ اخذت الدولة العباسية بالانحطاط والتدهور ، لا اعرف لماذا لا يقوم عند المسلمين اليوم أئمة مثل أبي حنيفة ، ولا أدري لماذا لا يكتب العلماء كتباً تلائم أحوالنا العصرية حول قضايا الاراضي ككتاب الخراج لأبي يوسف . لقد رأينا أئمة كابن تيمية والشيخ محمد عبده فتحوا باب الاجتهاد من جديد ، ورأينا السيد محسن الامين العاملي يستعمل اجتهاده داعياً الى الاصلاح والتخلص من الكثير من الخرافات والتقاليد البالية ولكن هؤلاء نفر قليل . وها قد قام في تركيا اليوم فئة دينية بزعامة سعيد حليم باشا تدعو الى فتح باب الاجتهاد والى الاستفادة من التعالم الاسلامية الشريفة في الحياة الجديدة لتركيا الفتاة .

أود ان اذكر بان باب الاصلاح الاجتماعي واسع في الدين الاسلامي ، فلماذا لا يلجه العلماء الكرام اليوم ، لماذا يحاول علماؤنا ايدهم الله ان يماشوا العامة في آرائهم وتقاليدهم ولا يجسرون على المناداة بالاصلاح . انني اعتقد ان الاجتهاد في الاسلام يجعله ديناً حياً ابدياً ما دامت تعاليمه تطبق على كل عصر وجيل وفق مقتضيات ذلك العصر والجيل . يجب ان يتأكد اخواني الشبان المسلمون

بان الاسلام بطبيعته دين اصلاحي يقاوم كل جمود، ولكن جمودنا نحن معاشر المسلمين هو الذي جعـــل الاصلاح الاجتماعي بطيئاً في البيئات الاسلامية هذا البطء المزري. وهذه الظاهرة للمدنية الغربيـــة هي اسلامية في الحقيقة وان الاسلام يضمن التطور الاجتماعي بصورة معتدلة افضل من اي تطور يجري في المدنيات الغربية.

يتبين مما ذكرت بان عناصر القوة في المدنية الغربية الحديثة هي موجودة في الاسلام وليست غريبـــة عنه. فاود ان نبتدي بالدرس والتحليل للمدنيات الغربية وان ننظر اليها بمنظار روحيتنا وتقاليدنا بمنظار تأريخنـــا واحوالنا لكي لا تجرفنا سيولها يجب ان نكون مخيرين لا مسيرين في الاخذ بالمدنيات الغربية مخيرين بهدى العلم على ضوء البحث والتحليل للمدنيات الغربية اولا ومعرفتنا لكنزنا الاسلامي الثمين معرفة تامة ثانياً.

١ – بان تقوم عندنا فئة من علماء الدين تدع المذاهب جانباً وتفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ونبتدىء بالاستفادة من الاجتهاد استفادة تلائم نمو العلوم الحديثة والتطورات الاجتماعية العصرية، واني اؤكد بان الاسلام مستعد لذلك كل الاستعداد.

٢ – ان يرجع الشبان الى تلاوة القرآن والاكثار من ذلك مع السعي لتفهم روحيته ومغازيه ودراسة سيرة صاحب الرسالة دراسة تفصيلية والاستفادة من الاخلاق والروح الجميلة التي تحتويها سيرته عليه الصلاة والسلام واني متأكد من انهم بذلك سيجدون خير هاد لهم في هذه الحياة وخير عون على مجابهة التيارات الغربية .

انا متأكد بان اي طلب اقل من هذا لا يرضي صاحب الرسالة في مثل هذه الليلة المباركة .

والسلام على من سمع فوعى وحفظ فرعى ورحمة الله وبركاته .

●

المشتمل

صفحة	الموضوع

صفحة	الموضوع

تم طبع هذا الكتاب

على مطابع

دار الكتاب اللبناني - بيروت

صدر حديثاً من:

منشورات

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

ص. ب. ٣١٧٦ – بيروت – لبنان

النبوغ المغربي في الأدب العربي ٣ اجزاء	تأليف العلامة عبدالله كنون
سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب	تأليف العلامة عبدالله كنون
الأدب المغربي	تأليف محمد بن تاويت
مجموعة سيرة العرب	١٠ مجلدات
سلسلة الجديد في الأدب العربي في ٦ مجلدات كاملة	تأليف حنا فاخوري
الجديد في البحث الأدبي	تأليف حنا فاخوري
اللهاث الجريح	محمد الصباغ
موريتانيا الحديثة	محمد يوسف مقلد
لبنان إن حكى	سعيد عقل
موسوعة العلامة ابن خلدون	٧ مجلدات
مجمع البيان في تفسير القرآن	٦ مجلدات
الأدب القصصي عند العرب	موسى سليمان
يحكى عن العرب	« «
منهج البحوث العلمية	ثريا ملحس
حضارة العرب	الدكتور مصطفى الرافعي
انت وصحتك ، انت وجسدك	دكتور غالب ودكتور كرم
التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً	تأليف ابن خلدون
القرآن الكريم طبعة الأرجنتين الفخمة بالألوان	
ابن الرومي	ايليا حاوي
النابغة الذبياني	« «
نماذج في النقد الادبي	« «
الجاحظ	الدكتور جميل جبر
سليمان البستاني والالياذة	جوزف الهاشم
الياس ابو شبكه وشعره	
زحف العروبة	اميل البستاني
وثبة المغرب	عمر فرّوخ
لمحات من تاريخ العرب	الدكتور نقولا زياده
حكاية عمر	بولس سلامه
المفكرة الريفية	امين نخله
الديوان الجديد	« «
النسمات	سلمى صائغ
الجغرافية والرحلات عد العرب	نقولا زياده
قصص من توفيق عواد	